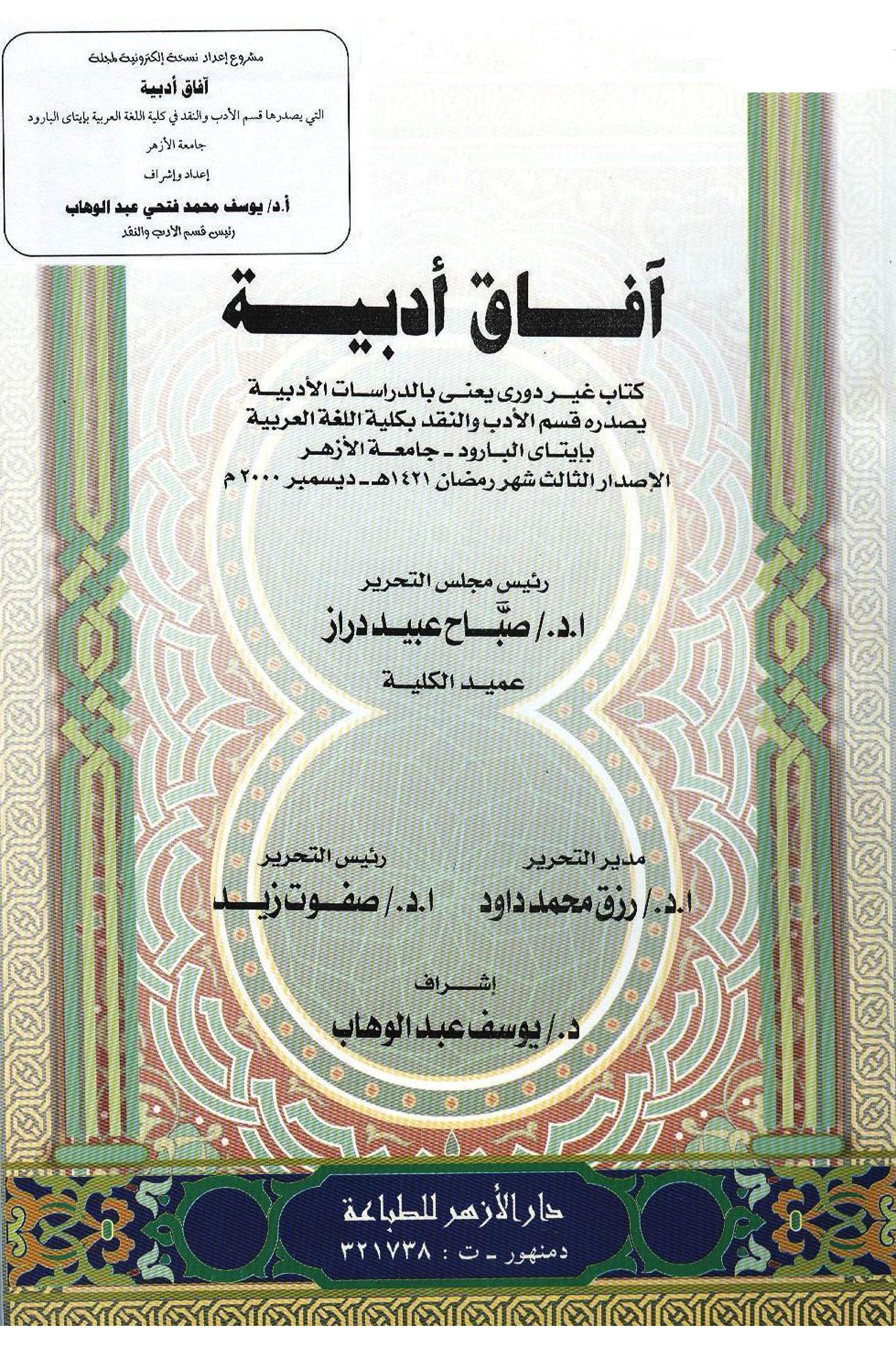


مشروع إعداد نسخة إلكترونية لمجلة

آفاق أدبية

التي يصدرها قسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

جامعة الأزهر

إعداد وإشراف

أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

رئيس قسم الأدب والنقد

آفاق أدبية

كتاب غير دورى يعنى بالدراسات الأدبية
يصدره قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية
بإيتاى البارود - جامعة الأزهر
الإصدار الثالث شهر رمضان ١٤٢١هـ - ديسمير ٢٠٠٠ م

دار الأزهر للطباعة

دمنهور - ت : ٣٢١٧٣٨

مشروع إعداد نسخة إلكترونية لمجلة
آفاق أدبية
التي يصدرها قسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاى البارود
جامعة الأزهر
إعداد وإشراف
أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب
رئيس قسم الأدب والنقد

آفاق أدبية

كتاب غير دورى يعني بالدراسات الأدبية
يصدره قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية
بإيتاى البارود جامعة الأزهر
الإصدار الثالث شهر رمضان ١٤٢١هـ - ديسمبر ٢٠٠٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

بقلم الأستاذ الدكتور/ صباح عبيد دراز "عميد الكلية"

الحمد لله رب العالمين، حمدا يوافى نعمه، ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان. ــ وبعد :

فهذا عدد جديد من مجلة قسم الأدب والنقد بالكلية "آفاق أدبية " نقدمه للمهتمين بالإبداع في جانبه الإنشائي أعنى: الشعر والنثر، وجانبه البحثى والنقدى، والنقد لون من ألوان الإبداع إذا توفرت له سماته.

فقد ازدان هذا العدد بشعر يذوب سحرا وجمالا للشاعر زينهم البدوي، والشاعر المرموق:محمد فتحى نصار، كما تصدر العدد بحث رائد للعالم الأديب الأستاذ الدكتور:صفوت زيد رئيس قسم الأدب والنقد بالكلية،وصاحب الفكرة في إخراج هذه المجلة إلى النور تحت عنوان:التاريخ والسير وصلتهما بالفن الأدبي،مبينا أن الشعراء عاشوا أحداث التاريخ والسير فما كانت أشعارهم إلا نبضات خفاقة، وقطعا من الحياة دفاقة،تلاه بحث للأستاذ الكبير الدكتور:أحمد عبيد عضو اللجنة العلمية الدائمة بعنوان"ابنة الإسلام ..العقد والواسطة"في دقة علمية منهجية وخبرة ثقافية تزيد المجلة خصوبة وثراء،ثم كان للأستاذ الدكتور:السيد مرسى أبو ذكرى وقفة متأنية حكيمة مع تجديد الشيخ أمين الخولى، ثم كان للأخ الفاضل الأستاذ الدكتور: أحمد خليل صولة وجولة في عالم القصص المسحور، وللباحث مؤلفاته الشهيرة في دنيا الرواية والقصة والأقصوصة ومدارسها وسماتها، أما شباب الأدباء والعلماء فلهم

دراسات واعدة مبشرة، حلقوا بها في الآفاق، قدم السيد الدكتو:ر يوسف عبد الوهاب بحثين الأول عن:المنهج الأمثل لدراسة النص الشعرى،والثاني:تحقيق ودراسة "للرسالة الحكمية" لأبى هلال العسكرى، وهو جهد رائع ، وسبق فريد في ميدان قل فرسانه، أعنى تحقيق التراث والغوص على فرائده ولآلئه ٠ توسطهما بحث شجاع ، في غابة عذراء تاهت مسالكها، ولا يقوى عليها إلا أولو العزم للدكتور:عبد الرازق حويزى، تحت عنوان: استدراك على ديوان أوس بن حجر، وهذه المجلة بالإضافة إلى أختها الكبرى " مجلة الكلية" تبين أن الإبداع الفنى ليس وقفا على من يدعون التنوير من قوم نعرفهم بسيماهم٠

إن الشعر –على كثرة من عرفه –حالة توهج إبداعى يتحد فيه الشاعر قلبا وفكرا وحسا وعاطفة بالحياة والكون فلا تجد كلمات شاعرة بل مهجاً متقدة ونبضات حرى تزيد الحياة حياة وتكشف لنا ما خفى عنا من عالم الشعور والمنظور، ليس الشعر موقفا أيديولوجيا ولا تجد يفا أحمق، ولا إثارة هابطة، إنه السمو المرفوف، تحيا فيه الأنساق وتتحول الكلمات كائنات نابضة باقية وسيبقى الشعر فن العربية الأول وإن زعم الواهمون أن الرواية حلت محله، فما منهما إلا له مقام معلوم٠

نعم سيبقى الشاعر يصدح بأغانيه، كالعندليب مغردا، والحمام في هديله الحنون، وستبقى للأزهر رسالته الخالدة حامى العربية شعرها وفكرها وثقافتها وعقيدتها ما بقى عربى إلى يوم الدين ٠

شكرا للزملاء في قسم الأدب والنقد، وأرجو أن أجد لكل قسم مجلة غنية بالبحوث المتفردة، وأسأل الله تعالى لكليتنا الناهضة توفيقا وسدادا وعلوا٠

والله من وراء القصد والحمد لله أولاً وآخراً وكتبه أ٠د/ **صبَّاح دراز**

التاريخ والسير
وصلتهما بالفن الأدبي

أ٠د/ صفوت زيد

التاريخ في أبسط تعريفاته هو مدونة العصور الخوالـــي وكتابــها الحــافظ لأخبارها الجامع لأحوال البشر ٠٠ ما يقع منهم وما يقع عليهم٠ (١)

والمؤرخ في تناوله لهذه الأحوال ، وتلك الأخبار ، إنما يقوم بعملية بحث عن الحقيقة على وجه يكشفها ويجلبها منقبا عن الأسرار التي وراءهــا ، والأســباب التي دفعت إليها ، والظروف التي أحاطت بها ، والزمان الــذي وقعــت فيــه ، ملتزما كل الالتزام بالحيدة والموضوعية ، فلا يضيف إليها من عنده ما يــؤدي إلى التزييف أو يدفعه إلى الانحراف بالحقيقة عن مسارها التــاريخي بــالصورة التي وقعت عليها ، وحدثت بها ٠

وعلى هذا فمهمة المؤرخ محددة في البحث والتحري والتمحيص ٠٠ بحــث الحقيقة ٠٠ والتحري عن مدي صدقها أو كذبها ٠٠ وتمحيص البواعث وراء هذا أو ذاك ٠ وهو من أجل ذلك كله يعتمد على الوثائق والأسانيد والآثار والمدونات التي تعينه على كشف الحقائق وتساعده في البحث عــن الدوافــع الخفيــة وراء أحداث التاريخ وصراعاته ٠ (٢)

---

(١) انظر : التاريخ والسير ٠ د٠ حسين فوزي النجار ص١٣ ٠

(٢) انظر : الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ،د٠ أحمد الهواري، و د٠قاســم عبده قاسم٠

غير أنه لا يعني بما هو خاف إلا عندما يتكشف خفاؤه ويتواتره الرواة سنداً عن سند حتى يصدق ذكره ٠ (١)

وهو في كل ذلك إنما يتناول الحقائق في إطارها الموضوعي بعيدا عن النزوع الذاتي فلا يتصرف في شئ مما يعرضه على الحاضر من صور الماضي إلا بالقدر الذي يعينه على الكشف والإبانة٠

والسيرة قصة تاريخية لا تشذ أبدا عما يقيد التاريخ من حقائق تعتمد على الوثائق والمدونات والأسانيد القاطعة البعيدة عن الكذب والافتراء ٠(٢)

ولكنها تختلف عن التاريخ في توجهها إلى تناول التاريخ المسهب للفرد٠٠ إذ هي " تبحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذ ، وتكشف عن أطوار حياته، وتوضح الأثر الذي تركه ، والمواهب التي يتمتع بها ، كالذكاء ، والخيال ، والتفنن ، والإبداع " (٣)

والسيرة لا تحتل مكانها الحقيقي في مدونة التاريخ ما لم تكن هي نفسها تعبيرا عن الحقيقة التاريخية التي تجمع بين البطل وبين القوي الاجتماعية التي تتجاوب معه وتحدوه إلى الغاية التي ينشدها وعلى هذا فالسيرة " جزء من كل وستبقي جزءا من الكل التاريخي للإنسانية جمعاء "(٤)

---

(١) التاريخ والسير ٠ د٠ حسين فوزي النجار ص٥٦

(٢) السابق ص٦١

(٣)انظر :د٠ السيد أبو ذكري ٠في مجلة اللغة العربية بالمنوفية العدد الثاني

(٤)التاريخ والسير ٠٠ ص١٥ ٠

صلة التاريخ بالفن الأدبي :

انتهينا إذن إلى أن السـيرة جزء من التاريخ لها خصائصـها المستقلة وصفـاتها المتميزة ٠٠ ولكنها في تمـيزها واستقلالها النسبي عن التاريخ لاتشـذ عنه فيما تتكئ عليه من حقـائق موضـوعية بدونها لا تكون شيئا ذا قيمة ٠

إن الكاتب التاريخي في تناوله لأحداث ما مضي بالعرض والبيان إنما يحاول إعادة بعث الحياة من جديد في أحداث سلفت وأيام خلت وشـخوص فنيـت ٠٠ وحتى يستقيم له ما يريد لابد أن يكون على درجة من الإحساس الفني يسـتطيع بها تحريك ذلك الماضي واستنطاقه ليتحقق الأثـر ويـؤدي الغـرض ٠٠ مـع المحافظة الكاملة على الإطار الموضوعي الذي انطلق المـؤرخ منـه ٠٠ لأن الذاتية التي تسللت إليه على أجنحة الفن فأثرت في رؤيتـه للحـدث التـاريخي وجعلته ينظر إليه بعينه الباصرة وتكوينه النفسي والمذهبي ٠٠ لكنها مهما تسللت إلى الصياغة التاريخية لا يمكن أن تلحق بالطبيعة الأدبية ولا يصح أن يتحـول التاريخ معها إلى مجال الأدب والفن ٠

وعلى العكس من ذلك تماما الكاتب الأدبي الذي يتناول التـاريخ بـالعرض الفني ٠ فإنه وإن كان يعتمد على الحقائق وينطلق منها إلا أنها لا تمثـل عنـده الإركيزة يقيم عليها بناءه الفني منطلقا منها إلى عالم من التصـورات والـرؤي مستشرفا من خلالها آفاق الحياة الإنسانية ٠٠ في مرحلة الإنسان عبر خطوطـها وصراعاته الحياتية والمصيرية ٠٠ إن الفنان في إعادة تشكيله للماضي ٠"يتخـذ من الأحداث التاريخية المجردة نواة ينطلق منها خياله الخالق ٠٠ ينسج حولها

من رؤيته ورؤاه الإبداعية٠ "(١)

فإذا كانت المادة التاريخية تحظى باهتمام المؤرخ والأديب معا كما رأينا فإنها تتشكل في رحاب كل منهما بلون المهمة الخاصة التي يصدر عنها وهي على قدر كبير من التباين والاختلاف ونظرا لما بين التاريخ والفن الأدبي من وشائج الاتحاد وعناصر الاختلاف في الوقت ذاته فقد شغل النقد الأدبي دائما بقضية الفصل بين الرؤية الأدبية للتاريخ وبين التاريخ المجرد حتى لا تختلط الأوراق فتتوه المعالم وتمتزج الأشياء فتصبح الرؤية الأدبية للتاريخ - وإن كانت تستلهمه وتستعين به - تاريخا ٠٠ ويتحول الأديب إلى مؤرخ يجعل كل همه استقراء الأحداث التاريخية بحثا عن حقيقة يريد إيصالها إلى الناس ٠

ومن الحقائق المقررة التي لا مجال للخلاف حولها من نقاد الأدب ودارسيه على السواء ٠ أن القصة التاريخية - على سبيل المثال - غير التاريخ المجرد وأن المؤرخ غير الأديب ،فإذا كان المؤرخ يقتصر في مجال عمله على رصد الحقائق التاريخية وتسجيلها ولا يستطيع مهما تسلح بوسائل الثقافة والاستعداد العلمي أن يكشف عن ظواهر التميز التي تتصل بالأحداث أو بالشخصيات، فإن الأديب يستحضر الشخصية أو الحدث في وجدانه وينفعل به ويستمطر من التصورات والرؤى الخيالية ما يهيئ الجو لإعادة تشكيل ذلك الماضي من خلال رؤية خاصة يعبر عنها بالكلمة الصادقة والعبارة الموحية فيكون تعبيره مليئا بالحياة الدافقة والحركة السخية ٠٠ وتبرز الأحداث أو الشخصيات حية وكأنها

---

(١) الرواية التاريخية ٠د٠ أحمد الهوارى ص٨ ٠

تعيش واقعها في ساعته وتؤثر في مجريات التاريخ وتوجهه بكل ما أوتيت من عظمة وعبقرية عندما يمتد تأثيرها إلى القارئ المعاصر ٠

فإذا طغت المادة التاريخية على الجوانب الفنية تحول العمل الأدبي إلى مدونة تاريخية لا صلة لها بعالم الأدب إلا من خلال تلك الزاوية الفنية المتبقية التي لون الكاتب فيها أسلوبه ببعض أدوات التشكيل الفني ٠٠ أما إذا احكم الكاتب قبضته على وسائله وعناصره الفنية وجعل لها الحظ الأوفى والنصيب الأوفر والمجال الأسمى أصبح التاريخ وأحداثه " هيكلا عاما ومناخا معبرا وإشعاعا أصيلا للقصة " (١) دون أن يتعدى هذا الحيز ٠

والنقد الأدبي لا يعترف بالأعمال الفنية التي استلهمت التاريخ في بعض عصوره أو من خلال بعض شخوصه إلا إذا عبرت الخط الفاصل بين التاريخ والفن ٠٠ ولن يتأتى لتلك الأعمال ذلك العبور إلا إذا تسلحت بالوسائل الفنية وكانت مظاهر الفن بارزة وواضحة فيها ٠

والترجمة الشخصية – توأم السيرة – (فن حديثه عن فنون الأدب انفصل عن علم التاريخ ودخل عالم الأدب من باب الطاقة الشعورية التي يبثها الأديب في موضوعه والقيم الفنية التي يضمنها تعبيره ومدخليتها في باب الأدب أنها استعانت بوسائله الفنية فقد تضمنت عنصرين أساسيين من عناصر العمل الأدبي وهما : التجربة الشعورية والعبارة الموحية عن التجربة، فإذا خلت الترجمة من

---

(١) أنظر :د٠ نجيب الكيلاني في مقدمة روايته " طلائع الفجر" ص٣ ٠

هــــذين أو من أحـــــدهما كانت ســـيرة (١) وتاريخـا بعيدا عـــن عـــالم الأدب (٢)

من ذلك رأينا أن هناك ثمة علاقة بين الأدب والتاريخ إذ إن كلا منهما يتكـئ على المادة التاريخية في عمله غير أن الحقائق الموضوعيـــة تمثـل بالنسـبة للمؤرخ بؤرة الاهتمام وعليها المعول وحولها يطوف ولها يجلي مستعينا بقدر من وسائل الأدب في كشف ما يريد بعث الحياة فيه من صور الماضي ٠

أما الأديب فالمادة التاريخية عنده ليست إلا مصدرا للوحي ومنطلقا إلى مـــا يريد تصوره من أفكار وعواطف ورؤى في عالمه الأثيري البهيج ٠

ولما كان كاتب التاريخ يستعين ببعض وسائل الفن في تناوله ٠ وكاتب الأدب يستلهم التاريخ في بعض أعماله ،كانت العلاقة بينهما أصيلة وغير منبتة، الأمر الذي دفع بعض الناقدين إلى جعلهما توأمين لأن كلا منهما في نظـــره " يعنـــي بالإنسان ويستمد مادته من نشاطه الفكري والعاطفي والعضـــوي وإن اختلــف القصد بين المؤرخ والأديب فالأول ينقل الحقائق ويلتزم بالأمانة والموضوعيـــة في عرضها ٠٠ أما الثاني فيعبر عن الحقائق الإنسانية ويلونها بذاته وتجاربـــه الشخصية وعلى الرغم من أن التاريخ علم و والأدب فن فإن المؤرخ مضطـــر

---

(١) لعله يعني بها هنا السيرة المجردة التي تعتمد على السرد المباشر للأخبار التاريخية عـــن الشخصية ٠

(٢)النقد الأدبي : أصوله ومناهجه للأستاذ سيد قطب ص ٨٨ ٠

لأن يكون أديبا في عرض أحداث التاريخ لأنه حين يصور فترة بعد العهد بـــها بحث عن مادته بين الوثائق والآثار واستنطق شواهد الحال وتســـربل ببعــض مواهب الفنان وبخاصة القدرة على رواية الحدث والربط بين الأجــزاء حتــى يبدو الا طراد التاريخي متماسكا وكأنه عمل فني خضع لتصميم مــدروس ٠ ولا يكتب الأديب بعيدا عن التاريخ بل هو مؤرخ وإن اختلف نــوع التــاريخ الــذي يسجله، لأن الأديب مهما أوغل في عزلته وذاتيته فإنـــه حيــن يتنــاول بعــض الشخصيات التاريخية يتم التلاحم بين الفن والعلم أو بمعنـــي آخــر بيــن الأدب والتاريخ ٠"(١)

وأرى أن العلاقة بينهما ليست على هذا المستوى من التلاحـــم، لأن القــدر الذي يتسربل به المؤرخ يتحول إلى شئ من التزييف إذا تجاوز الكاتب فيه حـده؛ لأنه من بداية الأمر معني بالتثبت من وقوع ما حدث في الزمن الـــذي مضـــي محاولا تفسير ظواهره وكشف ملابساته ٠٠ أما الأديب فإنه قد يتناول ذلك الـذي حدث في الماضي من خلال رؤية ذاتية خاصة يضيف إلى الحدث من عنده ما لا سند له أصلا في محاولاته المتعمدة لإسقاط المـــاضي علـــى الحــاضر إيحــاء بالمطلوب أو بما يجب أن يكون ٠بمعني أنه يوظف بعض الدلالات التي يستشفها من الماضي لمعالجة الحاضر فيلوي عنق الحقيقة إذا لم تستقم له إلا علـــى هــذا الطريق الذي رآه والنقد الأدبي لا يؤاخذه على ذلك إذا انفلت عيار الحقائـــــق في زحمة التصورات والرؤى لأنهم يعتبرون التجربة الأدبية نوعا مـــن الخلــق الجديد والإبداع على غير مثال-حتى ولو كانت تاريخية -لأن الأديب يعـــــايش

---

(١) انظر : د٠ السيد أبو ذكري في مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية العدد الثاني٠

التاريخ بطريقة استردادية حيث يستحضر الماضي في وجدانه ويعاشر شخوصه وأحداثه؛ فتتخلق في وجدانه تصورات ذاتية لاتحدها حدود ولا تقيدها قيود.

وفي رأيي أن هناك جسرا وصلة بين الأدب والتاريخ، وأن هذه الصلة تشبه إلى حد كبير شعرة معاوية لكن الشعرة التي لابد منها كي تستقيم الأمور لهذا وذاك يقول الدكتور: حسين فوزي النجار : "إن الأدب والتاريخ صنوان من حيث الإنشاء الأدبي فتدوين التاريخ كالكتابة الأدبية في حاجة إلى منتهي بلاغة الكاتب النحرير .. وإذا كان للأديب أن ينفعل بالمواقف التي تستثيره فتلهب خياله وتورى قريحته ويكون تعبيره عنها مليئاً بالحياة جياشاً بالعواطف .. فإن انفعال المؤرخ بأحداث التاريخ يضفى على كتابة القصة حيوية جديدة تنبعث فيها الحياة الماضية حافلة بالحركة والنماء.

وإذا كان قد تقرر أنه بين الأدب والتاريخ صلة ما تشبه كما أري شعرة معاوية فإن السيرة – وهي قصة تاريخية ذات تميز فريد – بينها وبين الأدب صلة رحم من الدرجة الأولى إذ هي تتناول البحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذ والكشف عن مواهبه وأسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشها والأحداث التي واجهها والأثر الذي خلفه في جيله، لذلك كانت أقرب إلى التأثير الدرامي من كل ألوان التاريخ الأخرى وكانت أكثر إثارة للقارئ من كل كتابة غيرها، حيث تجيش بكافة الانفعالات والعواطف التي تثور في أعماق البشر والتي تتجرد منها الواقعة التاريخية كحدث (١) وهي لأجل ذلك التميز الذي تتسم به كانت

---

(١) التاريخ والسير ص١٤ .

أكثر التحاما بالأدب من التاريخ العام ٠٠ وكانت الكتابة فيها " أمراً غير يســير لا يقدر عليها إلا من أربي على قدرة المؤرخ وإحساس الأديب معــا، فالســيرة ليست سجلا لحياة فرد من مولده إلى مماته، ولكنها قصة إنسان فذ أو متميز بكل ما ينبض به قلب هذا الإنسان من أحاسيس وعواطف وما اعتور عقله من فلتات الذكاء الفذ والخيال الجامح ٠ (١)

ولهذا فإنها تحتاج إلى (قدر لا بأس به من الفنية الروائية التي يظــهر بــها والأشخاص وكأنهم أحياء يتحركون على مسرح الحياة ويغدون ويروحون بمــا يختلج في نفوسهم من نوازع ٠ (٢)

فهي أحفل بالتخيل من التاريخ وكاتبها أقرب إلى الفنان من المؤرخ٠

---

(١) السابق ص٦١ ٠

(٢)التراجم والسير ٠ للأستاذ محمد عبد الغني حسن ٠ ص١٠ ٠

ملف العدد القادم

مجلة آفاق أدبية تستكتب قراءها الكرام في موضوع: "مناهج دراسة الدوريات الأدبية " ؛ ليكون ملفاً للعدد القادم ، فعلى كل قارئ كريم يجد لديه الأفكار الجيدة المفيدة في هذا الموضوع أن يكتب مقالاً مركزاً لينشر في هذا الملف بمشيئة الله تعالى

ابنة الإسلام ... العِقْدُ والواسطة !!

بقلم أ.د/ أحمد عبد الغفار عبيد

عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

للأستاذ الشاعرة/ علية الجعار ديوان شعر متوسط الحجم عنوانه "ابنة الإسلام" وهو مجموعة مقطوعات وقصائد تنبع من نفس مفعمة بالإيمان، وتصور خواطر إسلامية حبيبة إلى القلوب بصورة قل أن نجدها عند شعرائنا العصريين؛ فللمعالجة الشعرية عند الأستاذة الفضلى السيدة "علية الجعار"طابع خاص ، وسمة مميزة ، قوامها التعبير السهل القريب ، والخاطرة الدقيقة الواضحة ، والروح الغيرى على حمي الإسلام ، والفكر الراصد لأحوال المسلمين ، المهموم بواقعهم المؤلم ، الشغوف بما يدفع بهم إلى مدارج الرفعة ، ويبعث إلى عالم اليوم قيم العقيدة الإسلامية الخالدة التي لم تعرف البشرية لعظمتها مثيلا ، ويعيد للمسلمين في العصر الحاضر مجدهم التليد ، وعزهم الباذخ.

فالمشاعر التى يستشعرها متلقي هذا الديوان تدور في فلك محوره دعوة الإسلام السمحاء، وهديه الرائد ، ثم هي في جانب رئيس منها استغراق – من الشاعرة – في نجوى ذاتية ضارعة داعية مبتهلة راجية ... تسأل الخالق الأعظم الرحمة والهداية والعون والتسديد، وتلوذ بجنابه – عز شأنه – ليعصم خطاها من الزلل ، ويلهما رشدها ، ويكون لها نصيراً ومعينا.

وعنوان الديوان " ابنة الإسلام" هو في الوقت ذاته عنوان إحدى قصائده ذات الدلالة القويةفي سياق تلك التجارب الشعرية التي ألمحنا إلى سماتها العامة، وهذه القصيدة في تقديري من أمتع ما اشتمل عليه ذلك الديوان ، وربما ساغ لنا أن نشبهها بواسطة العقد كما استهدفت من عنوان تلك الصفحات؛ فهذه المجموعة

الشعرية التي نعرض لها كالعقد المنظوم ، سلكه أو الخيط الدقيق الـــذي يجمـــع دراته هو تلك الروح الممتلئة بحب الإسلام ، والاعتزاز به ، والإشادة بعظمتـه ، والدفاع المستبسل عن مثالياته ، وفيوض الخير التي عمت البشرية مع ظـــهور دعوته٠

ومع أن مقطوعات الديوان يضمها نظام متناسق ، ينبعث من روح إسـلامية خيرة تسيطر على شعور وفكر الشاعرة من بداية المجموعــة حتــى نهايتــها، فالتجارب تتوزع على عدد من القضايا والأفكار يمكن تلخيصها في الجزئيـــات التالية :

خواطر إيمانية واثقة:

وهي تمثل القدر الأكبر من تجارب الشاعرة في هذا الديـــوان ؛ إذ يطـــالع القارئ منذ افتتاحية الديوان دعاءً ورجاء بأن يمن الله عز وجل على صاحبة هذه النغمات المؤمنة بالرضا والهداية ، وأن يجعل لقلبها وعقلـــها ضيـــاء يرشـــدها ويهديها في خضم الضلال الذي تضرب فيه البشرية في عصرنا الحاضر علـــى غير هدى ٠٠ وتتصل بعد ذلك الخواطر المؤمنة الواثقة في مقطوعـــات " جنـــة القرآن " إذ تؤكد أن القرآن الكريم هو جنة الله في أرضه ، ونعيمه المبذول فـــي الدنيا لعباده المخلصين ، يستظلون بفيئه، ويتقلبون في صنوف النعيـــم والهدايـــة والموعظة الحسنة ، إذ تفيض على أهل القرآن بركاته ، فتبـــدل خوفـــهم أمنـــا، وعسرهم يسرا ، وكدرهم صفاء، وضعفهم قوة٠٠٠:

إذا ضاقت بي الدنيا وشاب عزيمتي ضعف
وضجت وحدة روحي وروع أمنها الخـــوف

ألوذ بجنة القـــرآن فهو الفيء والإلـــف
تفيض حروفه نـــوراً ويشفي علتي حـــرف
يهدئني حديث الله ٠٠ آمن أهتدي أصفـــو
أسبح مُنزل القرآن بالأنوار ألتـــــف !!

ويقدر لشاعرتنا أن توافي الرحاب المقدسة في بيت الله الحرام ، ثـــم تـــزور مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتفيض قريحتها وشاعريتها حبا وانتشـاء ، وترهف السمع لهواتف روحها الشغوف ، ونفسها المشوق ، وهي في تلك الربوع الفياضة بالمعاني والمعالي ، فتحلق في مناجاة ضارعة ، وتقف على الأعتاب في خلوة مع النفس ، واستغراق مع الذات وقد تخلت عن شواغل الدنيا وأثقالها مـــن الأهل والولد وسائر العوارض والحواجز والحجب ، وتطيب لها في تلك البقـــاع المقدسة المناجاة فتقبل خاشعة راضية ، باكية راجية ، عاقدة العزم على أن تلـوذ بتلك الأعتاب مرات ومرات ، وأن ترتشف تلك الكئوس ما أمكنها العـــود إليـــها والاتواء من فيوضها ، وتسأل المولى - عز وجل - أن يمنحها القوة ، ويحقـــق لها الأمل ، ويكتب لها " العودة" !!

وتتواصل التجارب التي من هذا النوع في قصائد : "في رحـــاب البيـــت" ، و"في رحاب الكعبة " ، و"لبيك رب البيت " ، و " آنـــس فـــؤادي " ، و" حســـن ظني" ٠٠٠

تأملات نورانية

وهي مجموعة من القصائد أو المقطوعات التي يغلب عليها التأمل في كتـــاب الكون واستشفاف حكمة الخالق الأعظم في خلقه ، وفي تكليف عباده بما شرعه

لهم من تكاليف ، وما فرضه عليهم من مناسك وعبادات ، وما أمرهم بـــه مــن هدي، وما جاءهم به الرسول الخاتم ۰۰۰، ومن شواهد ذلك مقطوعات وقصائد :
* " الحجيج " وفيها نتأمل فلسفة الرحلة إلى البقاع المقدسة ، وما فيها من معـاني الإخوة ، واختفاء مظاهر التفاوت والتباين :

في ساحة البيت الحرام تحلقوا — من حوله بالطهر والإحرام
الدين وحد شملهم فتجمعـــوا — وترابطوا في ألفةٍ وسلام
سرت المحبة والتراحم بينهـم — آختهم التقوى بلا أرحـــام

* ثم مقطوعة " في فضاء الله " وفيها تتأمل الطيور وهي تغدو فـــي الصبـــاح ، ساعية باحثة عن رزقها، بإلهام من خالقها، وتعود في نهاية الرحلة قانعة راضية بما أفاض عليها المولى عز وجل ويسر لها من الرزق !!

* ومثلهما مقطوعات : "من أنبت الزهـــر " ، و" الزكـــاة " ، و" رمضـــان " ، و"النحل" ، و" الجبل " ، و" الإنسان " ، و" الجن " ، و " الأسماك " ، و"النـــور" ، و"الطير" ، و " النجم " ، و " الملائكة " ، و " الرعــد " ۰۰۰، ومــن مقطوعــة "الإنسان" نتفرس قول الشاعرة:

الله أكبر جل الله مولانـــا — فضلا وجوداً تولانا وأولانـــا
من نطفة في قرار كان منشأنـــا
والله في أحسن التقويم سوانـــــا
بالروح والعقل أحيانا وفضلنـــــا
واستخلف الله فوق الأرض إنسانـــا

أهدي لنا الدين والقرآن يعصمنا
والمصطفي يملأ الآفـاق إيمانـــا
سبحان ما له مثل ولا شبـــه
سبحانه جل في عليائه شانــــاً

ونختتم هذه النوعية بمقطوعة " الرعد " ، وفيها تقول شاعرتنا:

الأرض ظمأى والثري قد أقفـرا
لكن رب الكون شاء ودبـــرا
ساق السحاب محملا بعطائـــه
متراكما فوق القفـــار ليمطـرا
لما أظل الأرض أشرق وجههـــا
فرحا وهلل قفرهـــا واستبشـــرا
فاضت عيون المعصرات بوابـلٍ
من رحمة الوهاب فابتل الـــثري
والرعد إجــلالا لمنـــة ربــه
شق السكـــون مسبحـاً ومكـــبراً

إضاءات قرآنية:

ومما يلفت النظر في ديوان " ابنة الإسلام" تضمنهُ مجموعة من المقطوعـات الشعرية الرقيقة التي استشفت الشاعرة معانيها من "آيات قرآنية" ، أثبتتـها فـي رأس كل مقطوعة منها، وعدد تلك المقطوعات اثنتان وعشرون مقطوعة ، وكذا صنعت الشاعرة مثل ذلك في بعض معاني "الأحاديث القدسية" ، وبعض "الأسماء الحسنى" ، إذ عنونت كل مقطوعة باسم من الأسماء ، مشيرة إلى تحقق بعـض

معاني ذلك الاسم في حياة العباد . ونكتفي بإيراد مثال من كل من تلك التجارب ، فمما استوحته الشاعرة من بعض الآيات القرآنية هذا النموذج الذي وضعت في بدايته الآية الكريمة:

"ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفي على الله
من شئ في الأرض ولا في السماء"

ثم تقول :

يا من ترى مالا نراه وتسمع — الكون مشمول بعلمك أجمع
أنت الرحيم وفي يديك مصيرنا — تقضي علينا ما تشاء فنخضع
أنت العليم بما تكن صدورنا — أنت الخبير بما يضر وينفع
ندعوك يا رب الوجود تعبداً — وتقرباً وإليك وحدك نضرع

ومن أمثلة ما خصصته للأسماء الحسنى هذا النموذج تحت عنوان اسم "السلام" تبارك وتعالى .. تقول:

يارب سلمنا من الآثام والأوهام في درب الحياة
هبنا السكينة والرضا والأمن في كل اتجاه
واجعل رضاءك غاية فيما نقول وما نراه
حبب لنا الإيمان واشملنا بفيض من هداه
أنت السلام فحينا وامنن علينا يا إله

واسِطَةُ العقْد :

أما واسطة العقد في هذا الديوان فهي قصيدة " ابنة الإسلام " وهي بحق جديرة بأن تكون عنوانا للمجموعة بأسرها ؛ إذ تعد من أمتع ما فيها ، بل لعل التجارب الأخرى التي ألمحنا إليها فيما تقدم تدور في فلكها، وتنساب في براعة بين جدولها العذب ونسائمها المعطرة ... والقصيدة - في اجتهادي - درة من درر الشعر الإسلامي المعاصر ؛ إذ لم يسبق الأستاذة علية من شعراء ولاشواعر العالم الإسلامي في العصر الحاضر - فيما أعلم - من استشعر هذه المعاني وعبر عنها بمثل ما عبرت به السيدة الفضلى بذلك الحماس وتلك الروح المخلصة . والقصيدة حماسية هادرة ، فيها نبرة واثقة ، مبعثها نفس عمرت بالإيمان ، وتغلغل الاعتزاز بالإسلام في أعماقها، حتى أفاض على قريحتها تلك المعاني التي بدت " ابنة الإسلام " من خلالها في أكمل صورة ، وسمت بعقيدتها وإيمانها إلى ذرى المجد ، وقمم الفضيلة ، فلم تعد تبهرها زخارف مستوردة ، ولا تقاليع مبهرجة تلتمسها من هنا أو هناك ، بل غدت سعيدة بانتسابها للإسلام ، تعتد ما أتيح لها من ذلك الهدي العظيم نعمة ما بعدها نعمة ، وفضلا لا مطمع لها في شئ سواه .

بدأت القصيدة على لسان ابنة الإسلام معلنة اعتزازها بذلك النسب الشريف، فهي في مقام الفخر والمطاولة لا ترى لها نسبا باذخا ، ولا شرفا رفيعاً سوى الإسلام، الذي تري فيه أباها وموطن فخرها وعزها .. تقول :

يا سائلا عني وعن آبائيا أَوَ ليس أصلي كالحقيقة زاهيا
إني ابنة الإسلام أكرم والد حسبي من الدنيا به نسباً ليا

ثم تسترجـــع الشـــاعرة حـــال المـــرأة العربيـــة قبـــل الإسلام وتقـــارن بين ما كانـــت تعانيـــه من إهمـــال واحتقـــار بما آل إليه أمرهـــا فـــي ظـــلال الهـــدي الإســـلامي من تكـــريم وصون وحفـــظ للحقـــوق ٠٠ تقول :

في الجاهلية كنـت كما مهمـلا   وأنوثتي عار يسير ورائيـــا
أحيا مضيعة الحقـوق ذليلـــة   إن لم يئدني في الطفولة آليـا
فرفعت كفي للسماء لعلهـــا   تحنو وتشرق بالضياء سمائيا
حتى أضاء الكون نور محمـد   صلى عليه الله نوراً هـــاديا

ثم تلمح إلى مواقف المرأة المسلمة في عصر النبوة ، ومشاركتها في الجهاد ونصرة الدعوة الغراء تقول:

ومضيت أستبق الرجال إلى العلا   لينير فجر الخالدين حياتنا
إني أنا "أسماء " حيث تتبعـــت   خطو النبي بغار ثور نائيا
إني أنا ذات النطاقين التـــــي   كانت مثالا للبطولة عاليا
....
وأنا " نسيبة بنت كعب" واسمهـــا   سيظل رمزاً للشجاعة باقيا

وتختتم ابنة الإســـلام نشيد اعتـــزازها وفخـــرها بتسجيل بعض ماهذبها به الإســـلام من جميل السجايا وبديع الخلال ، وتهتف مباهيـــــة بذلـــك إذ تقول:

يا سائلا عني أنا بمحمـــــــد

قد هذبت وتأثرت أخلاقيــــــا

النبل والخلق العظيم صفاتــه

ومن الرسول قبست كل صفاتيا

يا سائلا عني وعن آبائيــــــا

إني أتيه على الزمان بجاهيــــا

فأنا ابنة الإسلام أكرم والـــــد

حسبي من الدنيا به نسبا ليــــا

******

بشرى

شعر: زينهم البدوي

مأمور من قبل المولـــــي   أن أزرع في قلبك ليلـــــي
يا نفحـــة ربي في أرض   لا تعرف نبتاً أو ظـــــلاً
بشراك قران معقــــود   في اللوح زماناً ومحــــلاً
ما أسعد قلبك بالبشـــــري   ليطير بها نحو الأعلــــي

* * *

ليلاك ملاك بيضـــــاء   كلا لا مثل لها كــــــلاً
إشراق يحتضن الدنيـــا   ونهار لا يعرف ليـــــلا
مكتوب فوق جدائلهـــا :   يا نوراً بالحـــق تجلـــي
سيهيم سواك بلا قصـــد   وسيحيا فيضك في " إلاً "

تجديد أمين الخولي
في البحث والدرس الديني والأدبي

للأستاذ الدكتور السيد مرسى أبو ذكرى

تقديم:

الشيخ أمين الخولى ١٨٩٥-١٩٦٦، أحد أقطاب الفكـــر والثقافـــة والأدب المعاصرين، يمثل اتجاها في الأدب المعـــاصر يســـمي "أدب الأمناء"، الذي أثمرته "مدرسة الأمناء" ١٩٥٦-١٩٦٦ التي اســـتهدفت جعل الأدب والفلسفة والفن وحدة متكاملة ،تؤهل الأديب لحمل الأمانـــة الإنسانية وأدائها على أكمل وجه.

منذ وعي الحياة حوله، نظر إلى قضايا البحث والدرس ، وتـــابع مظاهر التجديد، وراقب جدل المجددين والمحافظين حتى هـــداه فكـــره إلى التجديد عن طريق الفكـــر والوجـــدان ، وربـــط القيـــم الروحيـــة بالمتطلبات الحضارية، وأثمر تفكيره إلى تأليف مدرسة تعني بـــالبحث والدرس الديني والأدبي ، ونجح أعلامها في بث بـــذور التجديـــد فـــي الحياة الفكرية المعاصرة.

نشاطه المبكر :

لأمين الخولى - وهو في العشرين من عمره - دراسة تدل علـــى استيعابه لقضايا ذات أثر في بناء الأمة، فقد قدم بحثا عن "الســـياحات

الإسلامية"، لمدرسة القضاء الشرعي خــلال عــامي ١٩١٦/١٥ فــي كراستين كبيرتين٠(١) وفي سنة ١٩١٧ جعـــل موضـــوع رســالته الدراسية "الجندية الإسلامية ونظمها"، أراد بها أن يعيد ذكر أمجاد آبــاء مضوا إلى خالقهم، ونشرها ســـنة ١٩٦٠ بعنـــوان "الجنديـــة والســلم ٠٠واقع ومثال" وقدم لها بقوله:"قطعة من تاريخ الفكر، في حياة الجيــل الماضي، بما هو انعكاس لاتجاهات الجماعة على فرد منها، وتفــاعل من هذا الفرد مع الجماعة التي يحيا فيها وبها" (٢)

بين القضاء الشرعي والمفوضية بروما:

في العاشر من مايو سنة ١٩٢٠، عين أمين الخولى مدرسا بمدرسة القضاء الشرعي، وفي سنة ١٩٢٣ سافر إلى إيطاليا إماماً للمفوضيـــة المصرية بروما، وفي الفترة بين تعينه بالقضاء الشرعي وسفره لروما، أشرف على مجلة القضاء الشرعي بقسميها الشرعي والأدبي، وحرص على تضمنها الطريـــف الشـــيق ، مـــن جديـــد المبـــاحث ورشـــيق الموضوعات٠(٣)

في إيطاليا تعلم أمين الخولى اللغة الإيطالية، وعكف على قراءتها

---

(١) راجع:مجلة الهلال، العدد الرابع من السنة الثلاثين ، الصادر في أول يناير ١٩٢٢ ٠

(٢) راجع:أمين الخولى ص٤٢، العدد ١٠٣من سلسلة أعلام العرب٠د٠كامل سعفان ١٩٨٢م٠

(٣) راجع : مجلة القضاء الشرعي،العدد الأول ، الصادر في ذي القعدة ١٣٤٠هـــ٠

وتنمية ثقافته بها، وفي ١٩٢٦ انتقل إلى برلين لمباشرة نفس المهام، فتعلم الألمانية ، وكتب بها مقالين عن الخلافة في جريدة " العلم المصري"(١) فأتاحت له الإيطالية والألمانية ، مراقبة الحياة الدينية والتعليم الديني في أوربا.

في سنة١٩٢٧ ألغي حزب الوفد - الذي تشكل بعد ثورة ١٩١٩ - وظيفة الإمامة ، فعاد الخولى لمدرسة القضاء الشرعي، وتولى محاضرة طلاب القسم العالي في "آداب البحث والمناظرة" ، ودعا الطلاب خلال محاضراته، إلى الأخذ بالمنهج الذي يقوم على قواعد وأصول ، حتى يتميز البحث الجيد عن سقيمه" (٢)

تاريخ الأدب العربي :

في نفس العام الذي عاد فيه الخولى إلى مدرسة القضاء الشرعي ، ألف مذكرة لطلاب القسم العالي بها في الأدب العربي وتاريخه، تحرّر خلالها من التقسيمات السياسية التي جري مؤرخو الأدب عليها ، ونهج فيها منهج حسن توفيق العدل ١٨٦٢-١٩٠٤ في مذكراته " أدبيات

(١)أصدرها طلاب الحزب الوطني بالألمانية في النمسا بمدينة "بتسبرج" وليس لها أصل عربي
(٢) أقدم المصنفين في آداب المناظرة، ركن الدين العميدى المتوفي ٦١٥هـ صاحب كتاب " الإرشاد " ، ذكر ذلك الشيخ محمد محي الدين عبد الحميدة المتوفي ١٩٧٣ في "رسالة الآداب" التي طبعها ١٩٢٩ في هذا المجال .

اللغة العربية بعد عودته من أوربا" فوضع الخولى بين يدي دارسيه تخطيطا يعين على معرفة مكانة العربية من لغات الدنيا، وتحديد الأدب القديم والحديث وطريقة دراستهما.

في الجامعة المصرية:

أتاح عمل الخولى بالجامعة المصرية منذ نوفمبر سنة١٩٢٨، أن يقود جيلا من الطلاب ، ويرسم لهم طريق الانتفاع من تراث العروبة والإسلام، وحثّهم على قتل القديم بحثا وفهما وتهذيبا، حتى لا يكون التجديد تبديدا لإيمانه أن الماضي ركيزة الحاضر، وفي وسع الحاضر أن يعمل في الماضي ، وتتفاعل حضارتا الماضي والحاضر مؤذنتين بما ترجوه في الغد.

من هنا كان كتابه "مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير في الأدب"، الذي وضح خلاله أن القدماء قسموا العلوم الإسلامية إلى ثلاثة أقسام : علم نضج واحترق وهو النحو والأصول ، وعلم نضج وما احترق وهو علم الفقه والحديث، وعلم لانضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير ...(١)

ومضى الخولي يتأمل مؤلفات أسلافه وأعمال معاصريه، حتى

---

(١) راجع: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ص٣٠٢ أمين الخولى ،طبعة ١٩٦١.

وقف على أوجه إصلاح الدرس، فكانت طريقته في دراسة جوانب من حياة البلاغة ، في " البلاغة والفلسفة"سنة ١٩٣١، وفي " مصر في تاريخ البلاغة "سنة ١٩٣٤، و"البلاغة وعلم النفس"سنة ١٩٣٩ ٠فحول الخولى البلاغة في الجامعة إلى " فن القول"٠

قدم كتابه بهذا المسمى بقوله: "من أهداف الأمناء ، أن يكون درس الأدب وتاريخه على منهج تصححه الخبرة بالحياة، والنفس والجماعة، ويمثّل التقدم الإنساني والرقي العقلي ٠٠ وهذا الكتاب محاولة لتصحيح منهج درسنا للبلاغة التي هي قوام الحياة الأدبية الصانعة والناقدة " (١)

تجديد الدرس الديني :

ذكر الخولى في مقاله : "التجديد في الدين " ، أنه حقيقة صحيحة صريحة لا فكاك فيه ولا مروق - إن شاء الله - ، ففي الدين فكرة واضحة عن التجديد ، تبين ناموسا كونيا ، وتنبه إلى سنّة اجتماعية مطردة لا تتبدل، إذ ورد في الحديث : " أن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها"٠(٢)

---

(١) راجع : فن القول ص٥ أمين الخولى ، دار المعرفة ١٩٤٧ ٠

(٢) راجع: مجلة الرسالة، العدد الصادر في أول فبراير ١٩٣٣ ٠

عدد الخولى الطريق الذي يسلكه المجدد، في تناول أحاديث متجددة عن أزمة الدين ، ومستقبل الإسلام ، وفهم نصوص القرآن ، وغيرها من الموضوعات التي تضمنها كتابه " المجددون في الإسلام" ، الذي كان مقدمة لكتاب آخر هو" تجديد الدين " - لم ينشر بعد - ، وفيهما أقام منهجه في دراسة القديم ، ليكون طريقا إلى التجديد ، في إحياء السنة، وإماتة البدعة ، أو إحياء ما اندرس، حماية للمجتمع من المفاسد وشيوع الأوهام.

استمدّ الخولى أسس التطور الدينى ، مما يوحى به قوله تعالى " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"(١)، وقوله تعالى "وما جعل عليكم في الدين من حرج"(٢) ، وقوله تعالى " وقد فصّل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه" (٣) وقول الكلاميين " العالم متغير" ، وقول الأصوليين" لا ضرر ولا ضرار". (٤)

وأشاد الخولى بالمجددين الأوائل ، لما قدموا للحياة الدينية من حقائق، كالتسامح الديني ، وحرية الاعتقاد، وفهم الدين فهما صحيحا،

---

(١) سورة : الرعد ، من الآية الحادية عشرة .(٢) سورة : الحج: ، من الآية ٧٨

(٣) سورة : الأنعام ، من الآية ١١٩ .

(٤) راجع : المجددون في الإسلام ص٤٦ أمين الخولى دار المعرفة ١٩٦٥ .

وتصحيح منهج التفكير الديني ، وتجنب التقليد، ثم أكد أن هدفه من فكرة التجديد الديني ، إشاعة الحيوية النابضة، من أعمال المجددين في نفوس الشباب ، حتى يكونوا مثلاً صالحة ، وقوى حسنة، في أزمنة قادمة.

تجديد الدرس الأدبي:

صاحب نشأة الجامعة الأهلية سنة ١٩٠٨ خصوبة الحياة الأدبية وتجددها، ومنذ تحولها إلى الجامعة الرسمية سنة ١٩٢٥، رأي القائمون عليها تحول درس التفسير ، إلى دراسة أدبية محضة ، يستعين الدارس فيها بكل ما بلغته الثقافة الفنية من دقة الآراء، وما تتميز به من حس وذوق ، وبلاغة أسلوب ، وجمال وجلال.

فكان على أمين الخولى صاحب المنهج المتحرر ، أن يدرس تاريخ القرآن ، قبل أن يخطو خطوة في "التفسير الأدبي" ، فكان كتابه " تاريخ القرآن" - مخطوط بمكتبته - ، أداره على جمعه منذ عصر النبوة حتى العصر الحديث ، وتلاوة آياته وأوجه التغاير بينها، وغيرها من الموضوعات التي تبرز رسوخ العقيدة من خلاله ككتاب دين له صفة القداسة.

أقام الخولى كتابه "تاريخ القرآن " على أساس علمي ، معتمدا في دراسة النص القرآني على نهجه الأدبي ، القائم على النظر في

المفردات وما توحي به من ظواهر نفسية واجتماعية ، وعلى النظر في التركيبات باعتبارها من أدوات بيان المعني وتحديده.

وظلت النظرة الأدبية الفنية ، تسيطر على الخولى طوال تناولـــه موضوعات كتابه "تاريخ القرآن"، حيث يبرز جمال أسلوبه، ويســتجلي قسماته، في ذوق بارع، يكشف عــن إيحــاءات الــتراكيب القرآنيــة، ومعرفة مزاياها الخاصة، التي تجلو جمال القرآن في كل موضوع مـن موضوعاته.

والجديد الذي أثاره الخولى في كتابه :تقرير خصائص فنية لأسلوب القرآن ، في عهديه المكي والمدني، وتمييز حال المخاطبين فـــي كــل عهد، في العهد المكي كثر فيه الجدل والإقناع ، والمناقشة والرّد ، وفي العهد المدني غلب فيه التلقين والتوجيه ، والترغيب والتفصيل.

إصلاح الأزهر:

عاد الخولى من أوربا وقد وقف على لغتيــن جديدتيــن ، فحظـــي بتقدير المثقفين على اختلاف انتماءاتهم وفتح له الأزهر بابـــه لينـــال طلابه قدرا من معرفة الرجل الذي جمع بين الثقافتين : الدينية الشـرقية والمدنية الغربية، ويحاول عن طريق الفكر والوجـــدان ، ربــط القيــم الروحية بالمتطلبات الحضارية.

في سنة١٩٣٥ قدم الخولى لطلاب كلية أصول الدين ، محــاضرات في " تاريخ الملل والنحل" ، حدد في بدايتها منهجــه ، فقــال: "ليــس تاريخا فحسب، يقوم به الباحث مقام الواصف لا غير، بل فيه مناقشات ومقارنات ، يبحث فيها ما يخالف المقررات الإسلامية ••• من تفسـير لمظاهر الحياة الاعتقادية الإنسانية ، أو حيــاة ملــة بعينــها أو نحلــة خاصة، أو بيان لمعتقد ، أو بحث عن أصوله••• مما اســتطالت بــه اليوم يد العلم •••في جرأة تختلف باختلاف الكاتبين ، وتجاوز حدهــا في غير قليل من الأحايين" (١)

بهذه الدراسة توطدت صلة الخولى بالأزهر ، فمثل الأزهر فــي مؤتمر " تاريخ الأديان الدولى" السادس بمدينة "بروكسل" في ســبتمبر سنة١٩٣٥، وقدّم بحثه " صلة الإسلام بإصلاح المســيحية" ، لإيمانــه بعالمية الإسلام وعطائه المثمر طوال الأعوام •

في سنة ١٩٣٦كان الخولى أول المشاركين في مسابقة "رسالة الأزهر في القرن العشرين،التي دعت حكومةعلى ماهر المفكريــن للمشــاركة فيه،وقف من العنوان مداعبا:"لماذا في القرن العشرين الميلادي،وليــس الرابع عشر الهجرى،ولا العاشر القمرى مــن حيــاة الأزهــر؟ " ثــم

---

(١) راجع : تاريخ الملل والنحل ج١ ص٦ أمين الخولى•

تابع الحديث فقال: " لعل هذا العنوان الرسمي، يوحي إلى الكاتبين عن رسالة الأزهر، أن يقدروا تلك العوامل الهامة ، التى تصرف الحياة اليوم ، وتملأ الجو الذي يتنفس فيه الأزهر "٠(١)

استهدف الخولى من كتاباته في إصلاح الأزهر ، شرح رسالته الاجتماعية، وتوضيح العلاقة بين "الدين والحياة" حتى يتطلع أبناء الأزهر ، لأهداف التجدد والنشاط العملي، وتتفق مصريتهم وشرقيتهم وإسلامهم مع هذا التجدد، فيقودهم فكر مستنير يقظ ، يتحكم في سير هذا التجدد، ويتابع تجدد الحياة ، مع تقدير نواميس الاجتماع وقوانين الحياة٠(٢)

أدي حرص الشيخ أمين الخولى على التجديد، إلى تكوين مدرسة ذات أسس مرسومة ، وتقاليد فكرية موروثة، قادها نفر يملكون القدرة على التجديد، وتجنب التقليد ، آفة العقول ، وعلة الجمود، وبذا اختط الخولي منهجا يعتمد على فهم القديم ، وينطلق مع حاجات العصر ودواعيه الجديدة في الآثار التي خلفها، ليحقق استقلال مناهج

---

(١) راجع : رسالة الأزهر في القرن العشرين ص٥، أمين الخولى، دار الهناء ١٩٦١م٠

(٢) إن شئت المزيد من المعرفة في الموضوع ٠راجع أعداد من صحيفة "المصري" في إبريل ومايو ويونيو ويوليو وسبتمبر١٩٥٢، ومجلة الآداب ، العدد الصادر في يناير ١٩٦٢ عن موضوع "أزهر٠٠ أولا أزهر"٠

الجامعة، ويرسم لأجيال الناشئة أقوم السبل في الدراســــة والاســتنتاج، والحمد لله أولا وأخرا.

دكتور

السيد مرسى أبو ذكرى

أستاذ الأدب والنقــد المتفــرغ

بكلية اللغة العربية بالمنوفية

مصادر الدراسة

أولاً : المصادر :

١- الأدب العربي في آثار المحدثين ٠ د٠ السيد مرسى أبو ذكرى طبعة ١٩٨٧م٠

٢- أمين الخولى، العدد ١٠٣ من سلسلة أعلام العرب - د٠ كامل سعفان ١٩٨٢ م٠

٣- تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث - د٠ حلمي مرزوق - بيروت ١٩٨٣ م٠

٤- تاريخ الملل والنحل - الشيخ أمين الخولى٠

٥- رسالة الأزهر في القرن العشرين - أمين الخولى - طبعة ١٩٦١م٠

٦- رأيى في أبي العلاء - أمين الخولى - طبعة ١٩٤٥ م٠

٧- فن القول - أمين الخولى - طبعة ١٩٤٧ م٠

٨- قيم جديدة للأدب القديم والمعاصر - د٠ عائشة عبد الرحمن - طبعة ١٩٦٧/٦٦ م٠

٩- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب - أمين الخولى - دار المعرفة ١٩٧٠م٠

١٠- مالك بن أنس ترجمة متحررة - أمين الخولى ١٩٥١ م٠

١١- المجددون في الإسلام - أمين الخولى - دار المعرفة ١٩٦٥ م٠

ثانيا: الدوريات :

١- مجلة القضاء الشـــرعي ، العــدد الصــادر فــي ذى القعــدة ١٣٤٠هـ٠

٢- مجلة الهلال ٠العدد الصادر في أول يناير ١٩٢٢م٠

٣- مجلة الرسالة ٠ العدد الصادر في أول فبراير ١٩٣٣م٠

٤- مجلة كلية الآداب ، العدد الصادر في مايو ١٩٤٧ م٠

٥- المصرى: الأعداد الصادرة في إبريل ويونيو ويوليو وســبتمبر ١٩٥٢م٠

٦- مجلة الأدب ، العدد الصادر في يناير ١٩٦٢ م٠

خلف أنوار الحقيقة

شعر: محمد فتحي نصار

[بل ما تذكر من نوار وقد نأت

وتقطعت أسبابها ورمامها ؟!]

.... لبيد بن ربيعة

عَفَتِ الحقيــــقةُ واستُحِلَّ حرامُهـــا

واختلَّ من بعد النظام نظامُهــــا !

عفت الحقيقة .. لا دليل ولا صوى

وتساقطت من أفقها أجرامُهــــا !

عفت الحقيقة فالحيـــاة بلاقـــــع

ومخاوف تذوي بــها أيامُهــــا !

قد أقفرت مــــن كـل ما يغرى بها

فتربعت فوق الحطـــام لئامهــا !

أَوَّاه من زمـــن بغــير حقيقـــــة!!

ماتت وذاب مع الزمـــان حُطامُها !

.. ماتت وخلَّفت الوجــود لوهمه

ولطالمـــا لعبت بـــه أوهامهــــــا

ومضت فما للعالمين حقيقــــــــةٌ

يرعونهــــا وتقودهــم أعلامهــــا

فإذا بهــــم يتخبطـــون وراءهـــا

ولربما لَذَّت لهــم آلامهــــــــا

* * *

من أول التاريخ وهي حقيقـــةٌ
تُحْيي القلــوب من الردى أنسامهـــا
من منبـــع الأيــام وهي منـــارة
للحالمين ، فأيــــن ذي أحلامهـــا؟!
تلك الحقيقـــة لم تزل أسطــــورةً
تغري العقول ، فهــل يهون مقامهـــا؟!
ضلت بأسطرها الظنون وسفسطت
وتفلسفـــت وتعـــقدت أحكامهـــــــا
هذا يقول ، وذا يعـــلل قولَـــــهُ
وعيونهــــم عميـــت وطـــال ظلامها
والأنبياء يُرَجعــون أذانهـــــم
ورسالة حقت وشيد دعامهـــــــــا
وشريعـــة تغتـــــال أسدال الدجي
ومناور بالنور تــــــم تمامهـــــــا
والمصلحون كتائــــب وكتائـــب
ومواهـــب فنيـــت لهــــا أجســـامهـــا
وصحائـــــف وشّى جوانبهـــا دمٌ
وجوانـــح أودي بهـــا إلهـــامهـــا
وقرائح عُـــصِرت وعُتِّـــق شوقها
والكأس تدعو الشاربين مدامهـــــا
وأنا أســـير القيد ٠٠ قيدي ظالم
وعواطفي هامـــــت وجُـــنَّ هيامهـــا

وحقيقــتي دميت وشــل جناحها
وتحطمت بين القيــــود عظامهـــــا
ومداركي ما يستـــــبين سبيلهـــا
وسماء وَحْيِى ما يزول قتامهــــــــا
وغصون حبي أسقطت أوراقهـــا
ورياض عمـــري أفلـــست أعوامها
ما زلت أصرخ لا مجيب ولا صدي
وحقيقـــتي منهـــا أتى هدامهــــــا
وحـــدي أعاني ٠٠ لا أنيس ولا هوى
وسجون وهم لا يطـــــاق صدامهـــــا
ضاقــت علي فما لِوَحْيِى مخــــرج
وتحررت وتألهت أصنــــــــــامهـــا!!
فالجسم أضناه احتمال عذابهــــــا
والعقــــل حطم كبره ظلامهــــــــا
والروح لحن في عروقى شاحــب
وأمام عينيهـــــا يلـــوح حمامهـــــا
يا للشقاء !! ألا نهاية ترتجــــي
فيحــل في هذا الكيــــان سلامهـــا ؟
يا للضياع !! ألا قرار؟ ٠٠ألا هدى؟
أين الحقيقة ؟٠٠ أين ٠٠ أين غمامها؟!
أترى الحقيقـــة لا تكون حقيقــــــة
وعلى دعاوى الوهم شد لثامهــــــا ؟

أتكون أحــلاما وشطحة نائـــم

ومع الصبــاح يخونهــا إبرامها ؟

أتكون هذي خدعــة قد أطلقــت

ومــع الزمان تلونت أقســـامهـــا

واليوم قد كشفت وألقت ثوبهـــا

وتقوست بعد السداد سهامهـــــا

وكأنها برق ترائي واختفـــــي

في لحظة يغري الظمــاء جهامها؟!

أحقيقـــة أم تلك لوثـــة شاعـــر

أرداه فيها عشقهـــا وندامهـــــا

أبدت له وجـــه اللعوب ومكرهـــا

..أغراة منها وصلهـــا وخصامها !

فجرى إليها باعثـــا آمالـــــــه

يذكى هواه خلفهـــا وأمامهـــــا!

ألقي دفاتره وهـــام بنورهـــا

وعن الحدود نأى به إكرامهـــــا!

لا يستجيب لناصــــح أو قـــادح

مهمـــا يلوم على الرؤى لوامهـــا !

مهما تقول مُـــدّعٍ لم يذّكـــــــر

أو راح ينبش جرحهـــا نمامهـــا !

..أضحى يصوغ لها الغرام قصائدا

وهي الحقيقة ما يطيب غرامهـــا ؟ !

يا شاعري المسكين: حسبك من هوى
وهوان نفسٍ ما يبيت ضرامهـــــا
أدرك بقايا من بقـــــــــاياك التي
قد هيض في طول السرى حوامها
وأخْلَعْ رداء النار عن هذى القـــــرو
ح فقد تعاظـــــم في الحشا إيلامهــــــا
واسكب علــــــى أهوالهـــــا وسعيرها
برد اليقيـــــن فقد تهون كِلامهـــــا
واهجر جحيـــم الشعر واسفح كأســــه
فالكأس أهــــاتٌ تئن سقامهــــــــا
والشعر – لو تدرى – جنون خواطـــر
قد سُل من غمـــد اللهيب حسامهـــا
مدحٌ وهجوٌ واختلاق مشاعــــــــر
أرقت وثار على التراب رمامهــــا
تفعيلة مذبوحـــــــة وقصيــــــدة
مغصوبـــــة أكدي بها رســــامهـــا
وملامح سُرقت وبُدِّل لونهـــــــا
تبدو ، فيبدو للنواظــــر ذامهــــــا
والشعر ليس تلصصـــــا وتجسسا
كلا ولا حرَفاً يهـــون مرامهــــــا
والشعر ليس مقاطعا وفواصـــلاً
يلقى بأيدي الغافليـــــن حطـــامهـــا

والشعر ليس وظيفـــة رسميـــة
تسعي إليهـــا بالرُّشا أقدامهــــــا
ما الشعر إلاّ نسمة علويـــــــة
عرش الإلـــه منارهـــا ومقامهـــا
٠٠ ما الشعر إلا قُبلة نوريـــــة
الله حللهـــا فكيف ملامهـــــا ؟!!
والشاعر الموهـــوب صوت حالم
ونبوءة تعبت بها أزلامهـــــــا
يوحَـــيْ إليـــه عشقـــه وحروفـــه
وحروفـــه نَفْسُ يهب عصامهــــا
فإذا تحـــدث أنصتت لحديثـــــه
أذن الزمـــان فهمســـه أنغامهـــا
لكن جيش البـــوم ينعب خلفــــه
والأرض تدفعـــه فتسقط هامهـــا
تعدو عليـــه ولا تطيـــق غناءه
أينال منـــه كيدها وخصامهـــا ؟ !
ظنت به ضعـــف التراب فحاولتْ
ما ردَّهُ عن قصده إجــــرامهــــا
يا للحيـــاة من الظـــلام ولونـــه
فعلي يديـــه تقطعت أرحـــامهـــا
والناس فيهـــا يجهلون سبيلهـــا
وتغرهـــم أضواؤهـــا وزحامهـــا!

تلك الحياة مخاطـــرٌ ومجاهـــلُ
شقيت بهـــا وتحـــيَّرتْ أفهـــامها !
شر وخـــير ضفتـــان لنهـــرها
والشر فيهـــا رأسهـــا وسنـــامهـــا !
والخير صـــوت تائه بضجيجها
يعلو سنـــاه يأســـها ورغـــامهـــا !!
فإذا أطـــل برأســـه فأمامـــهُ
غدر الحيـــاة ومكـــرها وسمامها !!
طبع عليه تأسســـت وتمرســـت
وعلى أذاه تفتفـــت أكمـــامهـــا !
مذ كـــان آدم في الجنـــان منعمـــا
حتى نأى عنهـــا وطـــار حَمـــامها
ومضي إلى الأرض الـــتي تمتصُّه
فيضيع منـــه أمنهـــا ووئـــامهـــا
٠٠ مذ قدم ابنا آدم ما قدمـــا
وتخاصمـــا فيهـــا فَنَـــدَّ زمامُهـــا
مذ طـــوعت نفسٌ عداوةَ أختهـــا
ليَحِلّ دون جريمـــة إعدامهـــا
سنت لنا فوق البسيطـــة سنـــة
بئســـت وبئس تبيعهـــا وإمامهـــا
وأتي الغراب معلماً لذوي النهـــي
كيف القرار إذا أتي صَرَّامهـــا

ومضي الجميع يغيرون جلودهـــم
والأرض تركض ما يشد لجامهـــا
يسطو عليهـــا من تكون له يـــد
مرهوبة فيها يقـــرُّ عُرامُهـــا
يعلو فيعبث بالجميــــع مهانـــةً
والكلُّ راضٍ .. نذلها وهُمـــامها
ويسير يجمـــع ما يشـــاء ببأسه
ويشيب من حُرِّ الرؤس لمامهـــا
ويُغَيِّرُ التاريخ حسب مـــــراده
لتسود في هذى الفلاة سَوامهـــا
وتضيـــع في هذا الضباب حقيقة
هـــي للمعالـــي بابهـــا وصمامهـــا!!
ذبلت نفـــوس الظامئين لوردهـــا
وقضي عليها شوقهـــا وأُوامهـــا!!
تلك الحقيقة كم تشـــتَّت خلفهـــا
شمل وظلت لم يُحَـــلَّ حِزامهـــا !
سخرت بفلســـفة الجميـــع ولهوهم
غرقـــوا وباتت لـــم يُشَـــقَّ جِمامها
.. تلك الحقيقة شعلة .. أسطـــورة
ضربت على مَدِّ الظنـــون خيامهـــا!
بعدت وقـــام الموت دون بلوغهـــا
وكأنه - أني تكون - لزامهــــــا !

تبقي كما خُلقت تأجج فتنـــــةً

ويشيب منها كهلهـــا وغُلامها!!

وتظل ترسل دائمـــا أنوارهـــا

والنفس يقتل شوقَهـــا إحجامُهـــا

هي مبدأ ومـــسـيرة ونهايـــــة

قد بث فيهـــا سرَّها علامَهـــا

وهي الحيـــاة وروحها وضميرها

وهي الختام إذا يحين ختامهـــــا

شعر: محمد فتحي نصار

طيور العنبر وأجنحتها الواهنة

قراءة نقدية للواقعية الجديدة في رواية إبراهيم عبد المجيد الأخيرة

أ٠د/ أحمد إبراهيم خليل

عمال السكك الحديدية الذين يمدون خطوطها مئات الأميال لتنشأ حولها المدن وتزدهر القرى ويلتهب الطريق الفولاذي بعشرات القطارات هؤلاء هم (طيور العنبر)(*) أو طيور كل العنابر والورش في المؤسسة المترامية الأطراف وفي مئات المصانع والموانئ والمؤسسات غيرها طيور رقيقة هشة متهدلة الأكتاف لا يسمع شقشقتها أحد لا تراها العيون وإن وقعت عليها الأحداق كأنها أجسام شفافة أثيرية لأن أحداً لا يريد أن يحمل همها إلا أن يكون مثل "إبراهيم عبد المجيد" الروائي السكندري المتألق وسط جيل السبعينيات الذي نشأ في أوساط هذه الفئة من الناس ونما بين أحضانها ولم ينسها بعد تخرجه في كلية الآداب عام ١٩٧٣ ليعمل بالهيئة العامة للكتاب ويصبح رئيس تحرير سلسلة (كتابات جديدة) الصادرة عنها فلم تكن طبقة العمال وأبنائهم أبطال رواياته الأخيرة التي نحن بصددها فقط بل كانت صاحبة الصدارة في رواياته الثماني السابقة ومنها: المسافات ، الصياد واليمام، قناديل البحر ، ليلة العشق والدم ومنها أيضاً روايته البديعة (البلدة الأخرى) الحاصلة على جائزة نجيب محفوظ من الجامعة الأمريكية عام ١٩٩٦م وأيضاً (لا أحد ينام في الإسكندرية) التي حصلت على جائزة رواية العام التالي معرض القاهرة الدولي للكتاب٠

- **التشكيل الفني :**

تنقسم الرواية الكبيرة (٤٦٦ صفحة من القطع الوسيط المكتنز) إلي ثلاثة أقسام : يتكون القسمان الأولان منها من عشرة فصول ويزيد القسم الثالث إلى

(*) صدرت في سلسلة روايات الهلال ع ٦١٣ يناير ٢٠٠٠م

ستة عشر فصلاً فيبدو بناء الرواية أشبه ببناء مسرحية٠ في الفصـــول العشـــرة للقسم الأول نتعرف على الشخصيات ، تقريباً تتفرد كل شخصية رئيسية بفصـل وهنا يكون إيثار إحدى هذه الشخصيات بأكثر من فصل علامـــة علـــى اهتمـام المؤلف بها وتركيزه عليها٠ ويمكن ملاحظة ذلـــك بســهولة مـــع (العربـي وسليمان) ٠ وأما عشرة فصول القسم الثاني فهي فصـــول الاشـتباك واحتـدام المشكلات والصعود إلى مرحلة التعقد ولذلك فإن هذا القسم يبدأ بعـــد انتـــهاء أحداث حرب السويس وعودة الجنود من جبهة القتال هذه العودة المبشرة بفرحـــة السلامة تنطوي في منطقة الرواية على بعض الشجن والقلق لأن أبناءها الثلاثـــة المجندين لم يعودوا بعد ، لم يتم الإعلان عن استشهادهم ولكنهم تـــأخروا فـــي الرجوع٠

ويبدأ القسم الأخير مع بداية عام ١٩٥٩ وتزايد حركة الاعتقـــالات التـــي بدأت تمس غيط العنب الوادع الفقير٠ وتكوين هذا القسم من ستة عشـــر فصـــلاً لأنه قسم ذروة التعقيد وبلوغ النهايات المأساوية جينـــاً والمتفائلة أحياناً٠

- **المكان والنزعة التاريخية:**

١ـ وتدور أحداث (طيور العنبر) كمعظم أعمال " إبراهيم عبـــد المجيـــد" فـــي الإسكندرية تلك المدينة الساحرة التي تصفها إحدي شـــخصيات الروايـــة بـــأن الإسكندر لم يبنها بل فتح محارة كبيرة أعثره بها حظه السعيد فخرجت منها تلـك اللؤلؤة العجيبة فكانت عروس البحر المتوسط٠والإسكندرية وإن كانت - كما هو معروف - شريطاً ممتداً بطول شاطئ البحر إلا أن هذا الشـــريط منســـوج مـــن طبقتين تمثل إحداهما أحياءها الشمالية المسترخية على شاطئ البحـــــر (سان

استفانو - جليم - ستانلي حتى محطة الرمل والمنشية) وتمثل بطانتها الجنوبية الأحياء الشعبية (الظاهرية - الحضرة - كرموز - غيط العنب إلى كفر عشرى والقبارى)

هكذا اشتركت الجغرافيا مع علم الاجتماع في وضع خريطة الثغر الباسم الطبقية ٠ يأتي الأجانب من المينا لينضم كل إلى جاليته سواء كان من اليونانيين أو الطليان أو الأرمن أو الأرناؤوط في حماية الجاليتين الأقل عدداً والأقوى نفوذاً من الإنجليز والفرنسيين ٠ وعن طريق السكة الحديد غالباً وقناة المحمودية أحياناً يهبط إليها الفلاحون المصريون هاربين من قسوة الظروف الاجتماعية في أقاليمهم متوقعين ظروفاً أحسن في المدينة التي سرعان ما أحيط جنوبها بالعديد من القلاع الصناعية الضخمة٠

ولئن كانت أغلبية سكان أحياء الشمال الراقية من الأجانب فقد أفسحوا إلى جوارهم مجالاً للبرجوازية المصرية الناشئة بين الحربين العالميتين وبعدهما وفي الوقت نفسه لم تكن الأحياء الشعبية تخلو من فقراء (الإجريج والأرمن والألبان) فتراهم في كوم الدكة والبياصة وشارع السبع بنات ٠

واختار " عبد المجيد " لأبطاله المكان الذي اختارته مصلحة السكك الحديدية في أواخر القرن التاسع عشر لتستفيد من سعته وخلوه ورخصه وتجعل منه مسرحاً لنشاطاتها الخلفية جنوب (محطة مصر) أو محطتها الرئيسية بالمدينة ٠ لقد أصبح الآن واحداً من الأحياء المليونية لا موضع فيه لقدم ولكنه طيلة السنوات الخمسين الأولى من القرن العشرين لم يكن إلا متسعاً لورشها

ومخازنها ومساكن عمالها المتواضعة المسقوفة بالصفيح الصدئ وألواح الخشب الرقيق ٠

في (لا أحد ينام في الإسكندرية) فوجئنا بأهل المدينة يرحلون عنها هروباً من غارات الطائرات الألمانية ومواجهة قوات الحلفاء الشرسة لها وخوفاً من انقضاض (روميل) الرهيب عليها الذي سبقته دعايته الناجحة أثناء الحرب العظمي والغريب أنه في ذلك الوقت نفسه كانت كرموز وغيط العنب حياً واحداً لا يفصل بين جزئية إلا شريان المحمودية الضامر ينمو سريعاً بفضل تدفق العمال الزراعيين عليه ٠٠ كم كانوا طيبين يبذلون أشق الجهد ويرضون بأقل الأجر ! وفي (طيور العنبر) نعيش مع أبنائهم ٠ وكأن الرواية جزء ثان متمم لسابقتها، أبطال هذه أبناء أبطال تلك والمكان واحد والزمان متسلسل متعاقب فالأولي تصحب سنوات الحرب العظمي وهذه تواكب عدوان ١٩٥٦ بل تبدأ أحداثها في صباح ٣٠ أكتوبر بعد يوم واحد من هجوم القوات الإسرائيلية على سيناء٠

ومن هنا تكون ملاحظة نمو الوعي الإنساني المواكب لتغيرات المكان وتتابع الزمان هي من أهم شواغل قراءة هذه الرواية الملحمية الضخمة ومحاولة التعريف بها في هذه الكلمة المتواضعة٠

١–وظاهرة الرواية الطويلة متعددة الأجزاء من أبرز الظواهر الواضحة على الكتابة الروائية في الفترة الأخيرة ٠ مع ضخامة العمل وتعدد أجزائه تكثر الشخصيات والأحداث والتفاصيل الجزئية المتنوعة وتبرز لدي الكاتب نزعة

تأريخية واضحة يربط بها بين الحياة اليومية للأفراد العاديين وبين الأحداث التاريخية الكبيرة مفتشاً بعمق ودقة عن تبادل التأثير والتأثر بينهما.

ويظهر هذا إلى جانب (إبراهيم عبد المجيد) عند (جميل عطية إبراهيم) في روايته الثلاثية (١٩٥٢) التي يتجلي من عنوانها التلاحم العميق بين العام والخاص بين القومي والشخصي بين لاعب دور البطولة على مسرح التاريخ ولاعب الدور نفسه على مسرح حارته الضيقة أو بيته المتواضع كما تظهر عند "سلوى بكر" في روايتها (البشموري) المحيية لتاريخ مصر في فترة التحول من العصر القبطي إلى العصر الإسلامي وعند " رضوي عاشور" في ثلاثيتها (غرناطة) علي أنه كلما كان الزمن الروائي معاصراً وكان هو نفسه زمن طفولة الكاتب وصباه وشبابه المبكر تراوح العمل القصصي بين النزوع إلى إحياء التاريخ وتجسيده وبين الاستسلام لعواطف البوح والفضفضة والحنين إلى الماضي وتداعي الذكريات.

فهل من أجل ذلك اختار الكاتبان زمناً ماضياً قريباً وآثرت الكاتبتان الماضي البعيد؟ والحنين إلى الماضي ولذة البوح بعض أسباب متعة الإبداع الفني ولكنها ليست كل دوافع معاناة الكتابة ولابد أن ثم أموراً وراء الأكمة.

ربما كان منها أن الفواجع التي منى بها الوطن على المستوى القومي في هذا العقد المتمم للقرن المكمّل للألفية الثانية دعت الكتاب إلى الرجوع إلى الماضي يتعرفون عليه ويفتشون فيه عن جذور الواقع الراهن.

ألم يكن هذا الواقع جنيناً في أحشاء الماضي ؟ فمتى أصابه التشوه ؟ وكيف؟ ولماذا؟ وربما كان منها – على الأقل – فيما يخص روايتنا أن (طيور العنبر)

عادت تعاني في التسعينيات أو هكذا أحس كاتبها مثلما كانت تعاني في الأربعينيات ·**فتأمل !**

ـ الزمان وحساسيته :

- وفي الرواية الكبيرة يكون الزمن دائماً أحد الأبطال الوهميين · وهنا أيضاً نجد أن فترة مابين ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦م ومنتصف عام ١٩٥٩م تمثل منعطفاً تاريخياً بالغ الحساسية في تاريخنا المعاصر شهد أهم انتصارات النظام السياسي في حرب بور سعيد وفي الوحدة مع سوريا وفي معركة تمصير الاقتصاد والتحضير لحركة التأميم الواسعة النطاق وظهور القطاع العام والتحول الاشتراكي مع بداية الستينيات وشهد أيضاً الزج بالشيوعيين إلى السجون مع الإخوان المسلمين بحيث لم يعد في ميدان العمل الوطني سوى الذين يؤيدون سياسة النظام ويرددون ما يحب سماعه·

وشخصيات الرواية منتبهة إلى ذلك تقول إحداها : " مشكلة جرائد اليوم أنها كلها تتحدث بصوتٍ واحد وعلى لحنٍ واحد وبعازفٍ واحد فهي جرائد لا لون ولا طعم لها ولا رائحة وأفضل صفحاتها هي صفحة الوفيات" ص:١٩٥ ·

في هذه الفترة كان على وعي الشباب المصرى أن يتفتح على نشدان العدالة الاجتماعية والتضحية بالحرية الفردية ثمناً لها مما يوقعه في حيرة التردد والاختيار أن يقف مع ·· أو ضد ·· لا يدرى إن كان ما يراد به خيراً يدعوه إلى رفع رأسه فقد مضي عهد الاستعباد أم شراً يلزمه أن يطأطئ رأسه خضوعاً لاستعبادٍ من نوع جديد ومن ثم بدت أذهان أبطال الرواية مبلبلة وخطاهم متعثرة وطاقتهم مبددة إذ لا يسيرون على طريق التقدم بوعيٍ وبصيرةٍ واقتناع ·

ويستعين الكاتب بإحدى شخصيات الرواية الرئيسية وهو " سليمان " (الأديب الشاب الذي يستعد لتأليف رواية تاريخية) في تقوية إحساس القارئ بالزمن الروائي فيضع بين الفصل والآخر تقريراً مجمعاً لأخبار متفرقة مما تنشره الصحف والإشاعات . يقول مثلاً عن وقائع سنة ١٩٥٨:

" انتهى هذا العام بأحداثه الكبرى والصغرى ففازت " جميلة أبو حريد" المناضلة الجزائرية بلقب " أهم امرأة في العام "..... كما أهدى" جمال عبد الناصر" أرفع وسام في الدولة لـ"توفيق الحكيم" تقديراً للفن والأدب ، وقتلت بنت "لاتاتيريز" عشيق أمها..... وازداد استخدام الدي .دي . تي كموضة في الانتحار... وأعلنت مديرية الصحة أن عدد المواليد في الإسكندرية – بلغ ألفي مولود هذا العام بينهم ثلاثون من الأجانب ... الخ" ص :٢٥٣، ٢٥٤ . ويقول عن وقائع السنة التالية: " في هذا الأسبوع أعلنت مديرية الصحة أن عدد المواليد من المواطنين حتى هذا الشهر ستمائة وخمسون بينهم ثلاثون طفلاً أجنبياً وعدد الموتى مائة وخمسون بينهم عشرة من الأجانب ، ثلاثة من الجالية اليونانية ، واثنان من الإيطالية ، وأرمني وقبرصي ويهودي من العشرين الذين لم يتركوا الإسكندرية ويوغوسلافي وسويسري وبلغ عدد المهاجرين في النصف الأول من هذا العام من الإسكندرية خمسة آلاف ومقدار ما تبقي من الأجانب الآن خمسة وأربعون ألفاً ، كما أعلنت الغرفة التجارية أن عدد الشركات والمؤسسات التي تم تمصيرها منذ بداية هذا العام بلغ في الإسكندرية وحدها مائة شركة ومؤسسة وبنكاً وعدد المحلات والورش الأجنبية التي آلت للمصريين في الإسكندرية .." ص:٣٣٣ . ولهذه الأخبار – برغم مباشرتها وقلة دقتها عند التمحيص – مذاق طريف متفرد وهي تعطي العمل الزخم الدافق من الأحداث الصغيرة اللازم لإدخال القارئ في جو الرواية الخاص وإشعاره بمحليتها وخصوصيتها.

وولوع " سليمان " بالتاريخ يتجاوز جمع الأخبار من الصحف إلى التأمل في مواقع سكندرية معينة واستعراض تاريخها . حين يمر بميدان المنشية مثلاً يتأمل في تخطيطه وزخرفة عمائره الباذخة المنتمية إلى القرن التاسع عشر وأسماء محلاته الأوربية التي يشبه بعضها محلات مشهورة في لندن وباريس ، ثم يقف أمام تمثال " محمد على " ليتذكر "أن وضعه في الميدان احتاج إلى فتوى من الإمام "محمد عبده" كانت هذه أول مرة يوضع فيها تمثال في مدينة عربية كان جريئاً ذلك الشيخ . المنشية الكابية الآن التي يكاد يصرخ فيها الهواء هي التي شهدت صعود عائلات البورجوازية الأجنبية اليونانية واليهودية والإيطالية وغيرها من الملل والأديان . كل شئ كان يبدأ من المنشية وفيها ينتهي ..." ص:١٠٧ وهكذا تفيد شخصية " سليمان " في تجلية زمان الرواية وأمكنتها وهو يتمشى في طرقات المدينة المختلفة.

ولا يخص الولوع بالتاريخ " سليمان " وحده بل يشاركه في ذلك " كاتبينا" اليونانية و" فلفل مطحون " تاجر البهار الذي يزعم أنه " حفيد أكبر تجار الكارم في التاريخ الحاج " عمر بن محمد بن سليمان نجم الدين القاضي الدماميني" من دمامين بالصعيد الذي توفي عام ٧٠٧ هجرية أي منذ سبعة قرون تقريباً وكانت له قيسارية يعني وكالة يا إخواني تشغل نصف شارع فرنسا قبل أن يكون هناك شارع فرنسا وكانت مليئة بالعنبر والعصفر والبهار ...." ص:١٠٥ .

ولا يبدو وجود تاجر البهار ضروريا بين شخصيات الرواية إلا ليخدم التوازن مع الأجانب الكثيرين فيها ولذلك فهو (مطحون) كما أن اليونانية مهاجرة وهو - كما يصفه سليمان - منظور للغربة والريح حين يودّع أصدقاءه مزمعاً السفر إلى الهند باحثاً عن ممتلكات أحد أجداده فيها.

ـ الشخصيات وهمومها:

والشخصيات الرئيسية في الرواية (إبراهيم مرسى والعربي ومحمود الملاح وسليمان ولطفي السايح وخير الدين ومحمود القزعة) وغيرهم انقطعت صلتهم تماماً بمنابتهم سواء في الدلتا أو في الصعيد وإن ظلت تقاليدها تطاردهم أحياناً كما تطارد "إبراهيم مرسى" لعنة علاقته بـ"نادية سلام " التي ترى فيها أسرتها الجنوبية عاراً لا يمحوه سوى الدم ٠ هؤلاء هم شباب منتصف الخمسينيات فيهم جرأة وطموح يعشقون السينما ويستمدون من أفلامها الأجنبية ثقافتهم وأفكارهم تقلبوا أو بعضهم على الأقل بين أحياء المدينة واختلطوا بطوائف أهلها وتفتحت أعينهم على ما لم يكن لآبائهم مجال للتفكير فيه ، لم ينل أغلبهم بسبب الفقر حظه من التعليم باستثناءات قليلة حصل اثنان منهم على دبلوم التجارة ودبلوم المعلمين وواحد منهم فقط وقف على أبواب الجامعة وحال مجموعه في الثانوية العامة دون دخولها ومع ذلك فـ"محمود الملاح" يحلم منذ أن عمل كومبارس في أحد أعلام "يوسف شاهين " بأن يخرج فيلماً عن حرب بور سعيد يصور فيه دور المقاومة الشعبية وشباب من اليسار والحليف الروسي في الانتصار ، وإبراهيم مرسى يعمل في شركة الزيوت في كفر الزيات ويؤرقه جيوش المتسولين الزاحفة على القطار البطيء الذي يوصله إلى شركته كل يوم ٠ وهم شباب محبطون دائماً " إبراهيم مرسى ، يهدد بالقتل بدل الزواج و"كامل " يذهب إلى الحرب ولا يرجع و" سليمان " يعجز عن دخول الجامعة وتأليف القصة التي يحلم بكتابتها و" خير الدين " يصرعه المرض و " محمود الملاح" يفشل في إنجاز الفيلم السينمائي الذي يتمني إخراجه عن حرب بور سعيد و" لطفي السايح" يصاب بهشاشة عظامه ودائماً يظهر بين أصحابه بذراعٍ مربوطة ٠٠٠الخ٠

ومع وعيهم بوضعهم الاجتماعي فاستجابتهم لهذا الوعي تظل للأسف أسيرة الغرائز والعواطف ينكفئون على أنفسهم في اجترار مشاعر الإحباط والمرارة ولا يجدون تناقضاً في تعلقهم بالفتيات الأجنبيات ٠ " سليمان " مثلاً يراسل فتاة إنجليزية ويعتبر السياسة خصمه الأول لأنها تفرض مراقبة الخطابات الوافدة والذاهبة إلى لندن و" العربي " يتابع وقائع ما بعد العدوان الثلاثي من تمصير الاقتصاد وتأميم الشركات الأجنبية وخروج الأجانب من مصر من غير أن يفهم من ذلك سوى أن هذه الأحداث المؤسفة ستحرمه من صاحبة الأتيليه اليونانية التي يعمل عندها ويهيم بها عشقا رغم أنها تكبره بعشرين عاما ٠ و"الملاح" يتخلى عن حلمه بإخراج الفيلم الوطني ويغادر البلاد وراء إيطالية من بائعات الهوى٠

من الطبيعي أن يشغلهم الحب ما داموا شبابا ولكن من الواضح ان هاجس الجنس استهلك قدرا كبيرا من قدرتهم وتركهم أسوأ حالا مما كان ينبغي ٠ ولا ينتبه إلى سلبيات الوضع العام والجو البوليسي المحيط بالبلد غير " سليمان " حين يستمع بمحض المصادفة إلى محطة إذاعة تبث إرسالها من خارج البلاد بالطبع وتسمي نفسها " إذاعة مصر الحرة " عندها يفتح عينيه على الأخبار الشحيحة عن المعتقلين بسبب آرائهم السياسية ويمزج بين مأساة الحرية في الوطن وبين مأساة عجزه عن الحصول على الثانوية العامة ويجد في البحث عن رواية الدكتور "زيفاجو" لعلمه بأنها ممنوعة من النشر مجاملة للإتحاد السوفيتي ويفكر في كتابة رواية تسرد تاريخ الإسكندرية في الخمسين عاما السابقة من خلال حياة مطربة مشهورة وحين يشرع في كتابة قصته يجعل المغنية ترفع عقيرتها دون أن يخرج من حنجرتها أي صوت وكذلك ينهمك العازفون في ضرب أوتار

آلاتهم التي لا يصدر منها أي صوت والجمهور يصفق معجبا ويضـرب الأرض بأقدامه في حماس من غير أن يصدر عنه أي صوت وهكذا يجد الرواية تنتـهي قبل أن تبدأ.

الغريزة والشعور المتسرب إلى الوجدان هو طريقة الشخصية في تلقي أثـر ما يدور حولها بدلا من الإدراك الواعي الذي يستثير العقل ويحفزه على البحـث عن حل أو مخرج للمأزق الذي تواجهه الشخصية ولذلك فإن رد فعلها غالبـا لا يتجاوز الانكفاء على الذات في مرارة وحزن وهذا هو حال شـباب الروايـة ، وهذه الاستجابة العاطفية الهادئة لا تريح المؤلف ومن ثم فـهو يضحـي بـأكثر الشخصيات تعبيرا عنها حتى ولو كانت في أنقي صورها كما يتضح من خـلال اسمه " خير الدين خير الدين خير" الذي يفترسه داء الصدر ويفجع الحـي فيـه شاهدين بأنه ما أساء إلى أحد منهم قط .

وفي الحقيقة أنه ما أساء ولا أحسن بل جاء وذهب كالحلم في عيـن النـائم ليس له أثر ملموس . وربما كان عجزه وهدوء وحزنه حال أكثرية أقرانـه إلا أنه فاقهم شفافية وعذوبة في زمان صارم متجهم فلم يتحمل بقاءه عالم الروايـة الذي تحكمت فيه الصراعات الشرسة والغرائز العمياء.

وفي مقابل شباب الرواية نري فتياتها (حسنة وشـوقية وبدريـة والجونـي وحكمت ومشيرة ونوال) أشد عجزاً وإحباطاً ولو أنهن يقاومن الحزن ببطولـة وإصرار حين يجتمعن في مشغل أبلة " نرجس " يتعلمن فنون الخياطة والتطريـز ويتسلين بسماع الأغاني فالراديو مصدر " ثقافة بنات الخمسـينيات ويخطفـهن الزواج واحدة واحدة لتنشغل الأخريات بالرثاء لحال " مشـيرة " التـي تنتظـر خطيبها "كامل" الذي لم يعد منذ تجنيده للمشاركة في حرب السويس و" الجوني"

المفجوعة في خطيبها " خير الدين " و" شوقية " التي يضربها زوجها تاجر المواشي بكفر الدوار و" بدرية " المتغربة في ليبيا ٠٠٠٠ الخ٠

وتبقي قصة " نوال " بينهن عقدة العقد التي لا يفهمنها تخرجت من مدرسة التمريض وتفردت بين قريناتها بهذا القدر من التعليم ومن العمل الأميري المهم وتمتعت بصوتٍ جميل كان مصدر بهجة لياليهن في بيت أبلة " نرجس " وفي أفراحهن وتعرفت في المستشفي العام بطبيب شاب علمها أن تحب أغاني " سيد درويش " لأنها تعبر عن الشعب وذوقه وبشاشته ومشاكله بدلاً من أغاني "فريد الأطرش " الغارقة في العواطف الفردية المصطنعة ودعاها إلى الاحتفال بليلة رأس السنة مع جماعة من أصدقائه الذين ألقي القبض عليهم صبيحة اليوم التالي وعلى الرغم من أنها لم تكن أكثر معرفة بالشيوعية من بقية البنات ولا تفرق - كما تقول - بين الماركسية والشركسية ! فقد استدعتها جهة أمنية للتحقيق وتعرضت لضغط هائل كي تصرِّخ بأسماء من تعرفهم من أصدقاء الطبيب وأظهرت صموداً بطولياً ولم تتكلم وانهارت أعصابها وتكرر غيابها عن العمل ولزمت البيت والتدخين والصمت اليائس حتى تغلبت إرادة الحياة على المحنة في نهاية الأمر وخرجت في صفحات الرواية الأخيرة إلى عملها تراعي المرضي وتغني لهم في شموخٍ أقوى من القمع والضغط والإرهاب٠

وحين تراجع " نوال " في خيالها صورة أصدقاء الطبيب تندهش " من ملابسهم الغالية جداً والأنيقة ، والبارفان الذي يعطرون أنفسهم به ، والشقة التي يجلسون فيها والتي لا تقل فخامة عن شقق أفلام الباشوات وكيف يحبون الفقراء هكذا " ص:٣٠٣ ٠

إن "نوال" بفطرتها البسيطة تنتبه إلى تناقضات الشيوعيين والبون الشاسع في حياتهم بين الكلام والفعل ٠ ومع هذا فهي تشعر في قرارة نفسها بوجوب مقاومة القهر والانحياز إلى الطرف الأضعف ٠ هكذا يفرض عليها ضميرها واعتدادها بالقيم الإنسانية ٠ وتستفزها قسوة السلطة في معاملة الطبيب وأصدقائه فتتمنى لو كانت تعرف الإنجليزية لتقرأ في الكتب التي اخفاها الطبيب في بيتها ٠ ص:٣٥٢ ٠

ـ وقفة مع الشخصية الرئيسية:

و" سليمان " من أبرز شخصيات الرواية وإذا كان مشروع أديب ناشئ فإنه يغري القارئ باعتقاد أنه يمثل المؤلف ٠ وقد يكون بالفعل كذلك ٠ وهو يتمتع كأغلب الشخصيات بنزعة إنسانية محببة حين يعجب بالفتاة الإنجليزية " جين بانكروفت ٠ " لم يفكر فيها من قبل كأجنبية أبداً ٠ وإنما كان يراها مصرية وبعد كل لقاء معها وسط الأجانب كان بعد أن يتركها ويعود لا يفكر فيها إلا كمصرية يعرفها من زمنٍ قديم وتعرفه رغم اسمها الصعب ٠٠٠٠"ص:٤٩ ٠

كان هذا في بداية الأمر ولكن نمو الشخصية الوجداني والعقلي من جهة وأحداث المرحلة التاريخية من جهة أخرى كانت مصدراً للحرج لهذه النزعة الإنسانية الرقيقة ولذلك أصبح " يضايقه أنه لم يفكر فيها من قبل كأجنبية أبداً " ص:٤٩ ٠

كما أصبحت تضايقه نظرتها إلى الشحاذين والمتسولين من أبناء المصريين الذين يملؤون ميدان المنشية ثم يقول لنفسه : " من المؤكد أن الثراء الذي يرفل

فيه أولئك الأجانب هو سبب الفقر الذي يغــــــرق فيــه هــؤلاء المصريــون" ص:١٠٨ ٠

وهكذا ينمو إحساسه بالانتماء على نمو تفتح عينيه على مشــكلات بــلاده رويداً رويداً حين تؤرقه مشكلة القمع السياسي ص:٢٤٢، ٢٥٦ ٠

وحين ينصرف عن التعلق بالشابة الإنجليزية إلى حب الصبية الساكنة فــي المنزل المواجه لمسكنه ٠ وتشاركه أبلة " نرجس " في تفتحه الإنساني الواعــي وهي تضم فتيات الحي تحت جناحيها في أمومة فياضــة تشــاركهن مشــاكلهن وأحزانهن ويسرح خيالها وهي تتأمل فوق سطح مسكنها المتواضع خطوط السكة الحديد الممتدة على مرمي البصر وتقول في نفسها: " هؤلاء التعساء الذين ينامون تحتها الآن بمن فيهم زوجها هم الذين يمدون هــذه القضبــان لتجــري فوقــها القطارات مع الرياح إلى أنحاء العالم ٠ القطــارات تجــرى بالبضــائع لــيزداد العمران في الدنيا ولا أحد يعرف أن القضبان أنشأها رجال كالفئران تخرج مــن جحورها كل يوم في الصباح لتعود في المســاء ولا تخــرج إلا فــي الصبــاح التالي"ص:٣٦٤ ٠

وبينما تسرع خطي " سليمان " في نمو الوعي القومي والاجتماعي يحــدث الشئ نفسه مع " العربي " ولكن ببطء شديد وقدر من التشويش فيكون وجوده في أحيان كثيرة مصدراً للتناقضات الكوميدية الداعية إلى الابتسام من غير أن تثــير في النفس فكراً أو تأملاً فصاحبة المشغل الذي يعمل به تعطيه معطف زوجــها الذي قتل وهو يحارب النازيين في اليونان عندما تعطيــه صديقتــها اليهوديــة المهاجرة خمسين جنيهاً كهدية فيشعر وهو ينظر في المرآة " أنه ملك ولا أقــل

حتى رغم أن البالطو لشيوعي ميت والنقود ليهودية ضائعة " ص:١٢٦ وينفق المال لفوره في أول ملهي يصادفه.

ولا ينبغي أن ننصرف عن " سليمان " وقبل أن نلفت إلى تميزه عن بقية الشخصيات الرئيسية (نوال - حبشي - نرجس - العربي) بتعميق أبعاد شخصيته في مجالي الفن والفلسفة فلم يكتف المؤلف بتصويره في أوقات عبثه وجده كالآخرين وإنما آثره - فيما يبدو - بمفتاح - سر الرواية.

إن " سليمان " كاتب القصة الناشئ أصيب بداء الفلسفة الوجودية (السارترية) الذي كان متفشيا في حينه . ومزج به شيئا من آثار أبي العلاء: (تعب كلها الحياة) وحين يحدثه " محمود الملاح " عن مشروع الفيلم ليكتب له السيناريو ما دام أديبا يحدثه " سليمان " بدوره عن مأساة الوجود:

- " لو لم تكن أنت موجودا مثلا هل كنت ستتألم من شئ؟
- أجاب " محمود في دهشة : لا .
- قال " سليمان " :وجود الإنسان هو سبب ألمه . اضرب أي حائط : بحجر أو حتى بالجزمة أو بالرصاص هل سيتألم ؟.
- لا - لأنه غير حي .جماد . حياتنا هي السبب . حياتنا هي الظلم الحقيقي لكننا لا نعرف إلا الأسباب العارضة الساذجة.
- يعني لو كان الواحد حيطة كان أفضل .
- طبعا لكن الأفضل هو ألا يوجد من الأصل " ص : ١٦٥ ، ١٦٦ .

ولفترة طويلة يظل " سليمان " يروح ويجئ وخياله مشغول بـ"إسماعيل أدهم"

الذي انتحر في البحر و" فخرى أبو السعود" الذي انتحر في الحديقـــة ص:٢٤٦ هذه الأفكار السوداء التي اجتاحت " سليمان " بتأثير صرعة العصر على الأدبـاء الشبان وفضله في حب الفتاة الإنجليزية وفي الحصول على التوجيهية لاشك أنـها مؤقتة وسرعان ما تنقشع عن رأسه بمرور الوقت ولكنه لم ينتظر انصرافها مـن تلقاء نفسها بل سعي للتشاغل عنــها بــالفن ٠ أليســت هــذه نصيحــة الآبــاء الوجوديين؟!

ولذلك نجده يجلس إلى طاولة الكتابة ويدخل في عالمه القصصــي وحيـن ينتهي منها ويضع القلم " يحبس كأنه عائد من كهف مسحور ٠ راح يقــرأ مــا كتب٠ أدهشته العبارات التي تنزلق منه دون تمهيد لا تزال ٠ وظلت لذة الكتابة تبث النشوة في دمه ٠ إن لديه هنا أشخاصا وحياة وثــراء وليــس لــه نظـير ٠٠"٢٥٤ تأمل : عائد من كهف مسحور ٠ والثراء الذي ليس له نظير٠

كل إنسان محبط في الواقع يتعزى عنه بالخيال والوهم ولكن ما قيمة كل ذلــك الهروب؟!

وفي تحضيره للقصة الجديدة بعد أن تخلي عن فكــرة الروايــة التاريخيــة للإسكندرية ومطربتها الخرساء يعثر " سليمان " على شخصية " حميدو" البطـــل الشعبي أو زعيم العصابة التي تسرق السفن " حميدو هذا ليس هو فتوة المنشــية القديم ، لكنه رجل مسكين من غيط العنب كان تعيسا شقيا من يومه ، شارك في قتل الإنجليز وسرقتهم أثناء الحرب الماضية وكثيرا ما قبــض عليــه البوليــس وأرسله إلى معتقل " الطور" الذي به أغني المجرمين "٠

ولكنه هذه المرة دوخ رجال البوليس وهم يحاولون القبض عليه وهو يسبح في ترعة المحمودية ولا أحد منهم يجرؤ على النزول إليها ومطاردته فيها فيكتفون بإمطاره بوابل من الرصاص من على الشاطئ إلا أنه يغوص تحت الماء ويظل هكذا لفترة طويلة يعجز معها أي إنسان عن البقاء حيا دون تنفس غير أنه في النهاية يستسلم لهم بعد أن يكون قد أتعبهم تعبا حقيقيا وحين يهم ضابط الشرطة بالتنكيل به والانتقام منه يمنعه" حبشي " الذي بدا في وقفته أمامه طويلا جدا بينما كان الضابط مسرفا في القصر وهو يخضع لتحذير حبشي : "لا ياحضرة الضابط هذا حميدو ،حميدو لا يهان ٠

المدهش أن الشاب المتعجرف لان واقتنع وأشار بالكلبش فوضع في يدي حميدو الذي مشي معهم صامتا إلى قسم البوليس بينما عاد "حبشي " إلى مقره٠٠٠ سيظهر " حميدو" مرة أخرى بعد أيام ويمارس نشاطه وسيعود الضابط بعد وقت ليقبض على " حميدو " من جديد ٠ إنها لعبة العسكر والحرامية التي نشاهدها مستمتعين.كيف يعمل العسكر إذا اختفي اللصوص ؟ "ص:٢٤٥ ٠

وفي الحقيقة أن كتابة " سليمان " تمثل حالة من الظمأ إلى العدالة والانعتاق والتمرد على الظروف السلبية المحيطة والتقرب إلى سيد الوجود الذي تتلهف الروح طوقا إليه ولا تدل الثقافة الوجودية عليه ٠

- الصورة لغة الخطاب الروائي :

في رواية " طيور العنبر" من مظاهر الرواية الحديثة عناصر كثيرة ربما كان من أهمها أن لغة السرد متنوعة متعددة الوجوه سواء من حيث السطح الخارجي

أو من حيث المنظور الذي يعبر السرد عنه ٠ وعلى سبيل المثال نجد أن النـــص ينطوي على عدة أساليب لغوية مختلفة فالرواية تبدأ بعبارتين شعريتين إحداهمـــا ترجمة عن " بودلير" والأخرى مترجمة عن " هاري تزالاس " وهما ليستا مجرد حيلة لإغراء القارئ أو حلية لفظية بقدر ما لهما دور كبير في توجيـــه بوصلـــة القراءة والدخول إلى النص الروائي فعبارة "بودلير" تقول:" لي من الذكريات أكثر مما لو كان عمرى ألف سنة "٠

وفيها إشارة إلى ما تمتلئ به الرواية من ذكريات " إبراهيم عبدالمجيد" ربمـــا التي عاشها وشاهدها وأيضا التي تخيلها وتوهم وجودها في صباه ٠ وعبـــــارة "تزالاس" تؤكد هذا المعني حين تومئ إلى دور الوجدان الإنســـاني فـــي صنـــع صورته الخاصة عن المكان فهو يقول : " إنها أكـــثر مـــن إسـكندرية ، إنـــها سكندريتنا التي صنعناها ، التي خلقناها من الروائح والأزهـــار والمحسوســـات والخيال والحب والتي هي باقية لأنه إذا افتقدت هذه الإســـكندرية فمـــاذا يتبقـــي لي٠٠؟ "ص :٥ ٠

وفي العنوان أيضا قدر كبير من الشاعرية بل من الغرائبية التي تتجاوب مع غرائبيه بعض الشخصيات والأحداث وطوابعها الخيالية والعاطفيـــة ٠ وعبـــارة "طيور العنبر" التي فسرناها اجتهادا بالإشارة إلى الضعفاء الكادحين في ســـكون لم ترد بنصها في الرواية وإنما ورد العنبر والطيور منفصلين في حديث "قلفـــل مطحون" تاجر البهار عن ممتلـــكات جده في الهند وجناتها الغنـــــاء الســـاحرة المليئة بالطيور العجيبة وبطرائف التحف والمقتنيات والعطور بما فيـــها العنـــبر الزكي٠

وفي الرواية قصيدة من الشعر المنثور منسوبة إلى (عصمت مفتاح) وهـــو شاعر سكندري من صنع خيال المؤلف • وفيها إشارات كثيرة إلى لوحات فنيــة مشهورة وإلى مدارس الفن التشكيلي وأعلامه ديجا وجوجان ورينوار وغــيرهم ص:٢١٩ وقطع وصفية لمشاهد من حرب بور سعيد مكتوبة بأسلوب السيناريو المعد للإخراج السينمائي ص :١٦٧ إلى ١٧٢ وقطع وصفية لشــوارع ومعــالم سكندرية معروفة مصحوبة بنبذ عن تاريخها • وبجــوار اللوحــات الوصفيــة الوفيرة للطبيعة الثابتة وقطع السرد المتابعة لحركة الأحداث عن كثب تواجــهنا على مسافات متباعدة قطع نثرية ذات أســلوب تقريــري حاشــد بالمعلومــات يستعرض ثقافة المؤلف ويأخذ أسلوب المقالة دون القصة كتلك القطعة التي بــدأ بها القسم الثاني من الرواية وفيها تقرير عن تاريخ اليهود في مصـــر الحديثــة وعلاقتهم بحكومة الثورة وخطئهم الذي عرضهم للتضييق والطرد بعــد ١٩٥٦ حين حاولوا أن يتمسكوا بانتماء مزدوج فوجدوا أنفسهم متهمين اتهاما جماعيــا بالخيانة ، وأمثال هذه التقريرات - على أهمية موضوعاتها - تقف أحيانا عقبــة في طريق التدفق القصصي ولكن قلتها ومناسبتها لموضعها تشفع لها وتجعلــها مقبولة سائغة•

وإذا كانت لغة الصور والعلاقات هي أسلوب الخطاب الروائي إلى القــارئ فقد امتلأت " طيور العنبر" بهذه الكنايات الرامــزة والدالــة والمجســدة للواقــع القصصي في مجاله المناسب دون تكلف أو افتعال • وفي أولى صفحات الرواية على سبيل المثال يطالعنا " العربي " أمام خلفية من مخازن (سلفاجو) ومدرســة قيد الإنشاء وفراغ هائل يحدق " العربي " حوله مندهشا من خلو المكان متســائلا إن كان اليوم يوم عطلة رسمية وهو لا يدري على حين أن قلة السابلة بســبب

انشغال الناس بأمر العدوان الثلاثي الذي لم ينتبه " العربي" إلى وقوعه.

هذه الصورة رمز لخلو بال الشاب تماما من كل معني من معـــاني الإدراك من السهل بعد ذلك أن تفهم لماذا تعامله اليونانية الشمطاء وصاحباتها الأجنبيـات على أنه مجرد أداة للتلهية والعبث والجنس هذا والعربي " فـــي آخـــر الروايـــة يضطر إلى العمل في بلدية المدينة التي تكلفه بتغيير لافتات أســـماء الشـــوارع وحين يلاحظ أن الأسماء المستبدلة كلها أجنبية يعز عليه أن يتم إنجاز مهمتـــه ولايفهم لماذا يكون عليه أن ينزع لافتة تحمل (هركليز) ليضع مكانها اسم (عنترة ابن شداد) أليس كلاهما بطلا؟ ولهذا يكتفي بشراء فرشاة وألوان وتحريف اســـم (هركليز) بحذف الزاي وجعل الياء شينا والكاف قافا • وهكذا يستعصي الـذوق العربي المعاصر المشحون بفكرة عن الأوربيين توافق أدني ملكاتـــه الحسـية والعقلية يستعصي على التخلص من آثار الغزو والتجاوب مع المشاعر القوميـة المتنامية ، وربما كان الحيز الوحيد الذي فعله " العربي " في حياته الروائية أنـــه تزوج من (جورجيت) القبطية التي اشترت الأتيليه من اليونانية الراحلة •

إن على الوطنية المصرية إذا كان مقدرا لها النهوض أن تتوحد وتلتحم في عالم تسوده التكتلات والويل فيه للمعزول والمتشتت •

وإلى جانب الصور والعلاقات ذات الدلالة المباشـــرة المحكومـــة بـــالمنطق والسببية المعقولة تمتلئ الرواية بصور ســـريالية تتجـــاوز حـــدود الســـببي أو المنطقي المباشر بحيث تصبح عدسة الفنان ليست مشغولة فقط بالتقاط الموجات المرئية والمسموعة بل أيضا باقتناص ما دون ذلك ومـــا وراءه مـــن موجـــات تعجز العين والأذن عن الإحساس بها ذلك أن ثراء حياة الناس وتناقضات الواقع

وخفاياه وأسراره أكبر من أن تسيطر عليها الآلية المنطقية المباشرة وحين يعرض " محمود الملاح" على " سليمان " سيناريو فيلمه الذي يحلم بإخراجه نجده مليئا بالمشاهد التعبيرية التي يأخذ فيها الأشخاص والأشياء أبعاد ا وأطوالا أكبر مما تأخذه في الواقع ٠ ورأينا قصة "سليمان " عن تاريخ الإسكندرية الذي يستعرضه من خلال حياة مغنية أصيبت هي وفرقتها ومستمعوها بالخرس وبين الحين والآخر يطالعنا " عيد" المشعور الذي لا يظهر في الحي إلا ووراءه عدد من المجذوبين لا يدري أحد من أين يأتي بهم وإلى أين يمضي ٠

وهناك " الديب" المسفر (سائق القطارات) الذي ما إن يجلس وسط رجال الحي حتى يأخذ في سرد حكاياته الغريبة عن البلاد البعيدة التي وصل إليها بقطاراته وما شاهده فيها من غرائب الناس والطبيعة ويوم خرجت عجلات القطار عن قطبانها وانحرفت في صحراء مجهولة ثم أخذت ترفع القطار وتطير به في أجواز الفضاء ص :٣٣٠ ٠

ومن الشخصيات ذات الحضور الواضح في الرواية شخصية " حبشي " أو "طرزان" الذي رغم فقره الشديد لا يكف عن التقاط الأطفال اللقطاء والعناية بهم وكلما ضاقت زوجته بكثرتهم بني لهم كوخا جديدا على شاطئ المحمودية كان في أول الأمر يكتفي بالعناية - بمن يعثر عليهم من الأطفال على حافة الترعة ولكنه أصبح يجوب الأحياء يبحث عنهم على أبواب الجوامع ومراكز الشرطة والمستشفيات٠

لقد نشأت الحياة على ظهر الأرض لتبقي وتنمو وتجد من دواعي الخير

ما يعينها على البقاء والنماء برغم كل أسباب الهزيمة والسقوط وخميرة الخير المستكنة في ضمير الإنسان البسيط هي سياج الحياة الحافظ لها من الوقوع٠

وفي طريف ما يتعلق بالوصف أنك لن تجد كل الصور الوصفية مخصصة للموصوف ومحددة لملامحه وسماته بل إن ثم قطعا وصفية تجنح إلى التعميم ، تعميم الذي يقول أن كل شئ موجود في اللوحة والذي لا يصف شيئا معينا٠

يصف المؤلف الراجعين من نزهتهم البحرية مساء يوم شم النسيم من منظور " العربي " فيقول: "٠٠ كانوا رجالا متوسطي العمر ونساء وشبابا وشابات وصبية وبنات وأطفالا بملابس من كل نوع ، جلابيب وفساتين ، شورتات ، بنطلونات وقمصان ، قفاطين ، بيجامات ، حفاة ، بصنادل ، بجزم ، بشباشب ، بيض وسود وخمري ، عيون سوداء ، خضراء ، زرقاء وعسلية، شعر أسود ، أصفر ، بني ، أحمر ، أبيض ، رمادي ٠ طوال وقصار ، نحيفون وسمان، مسرعون ومتمهلون " ص :٢٩٦ وهذا الوصف التعميمي مناسب في موضعه وهو لا ينسينا براعة المؤلف في الوصف المبرز لخصائص المكان وتميزه في مواضع كثيرة مثل وصفه لميدان المنشية أو حي غيط العنب وترعة المحمودية والملاحات وحفل الزفاف الشعبي في الحارة وحفل الزفاف الأرقي في المسرح٠٠٠٠ الخ ٠

وعلى الرغم من مجاراة المؤلف لخيال شخصياته الجامح وتقديمه للأحداث والتعليق عليها من منظورها في أحيان كثيرة فإنه قلما يتنازل عن ضمير الغيبة إلى ضميري التكلم أو الخطاب إلا في حالات قليلة تقوى جسور العلاقة الحميمة

بين الشخصية والقارئ أو حين يشتد إحساس الكاتب نفسه ببعض شخصياته ويركن إلى معايشتها ، وكأن ضمير المتكلم عندئذ يعبر عن امتزاج الصوتين صوت المبدع وصوت الشخصية ٠ والطريف أن هذا حدث مع شخصيتين متناقضتين إحداهما تقف على أدني درجات الوعي العام وتقف الأخرى في أعلاها وهما (العربي وسليمان)٠

ـ الواقعية الجديدة تشخيص وتقييم :

١- ولكي نستطيع تقدير مدي نجاح الرواية في تحقيق غايتها يلزمنا أولا التعرف على كنه تلك الغاية وكيف سعي العمل الفني إلى إنجازها؟ وبمراجعة ذلك الكم الهائل من الشخصيات والأحداث وملاحظة تنوعها الواسع المدي يظهر الأمر جد عسير. إن لديك شخصيات من كل نوع ولديك أحداثا هازلة وأخرى مأساوية ولديك مواقف تدين اتجاها معينا ومواقف أخرى تؤكد ضرورته وإيجابيته ولديك أناسا يعتنقون عقائد شتى وآخرين بلا عقيدة على الإطلاق ٠ فأين الرواية من كل هذا ؟ وأين مؤلفها ؟ هل هي مع ثورة يوليو مثلا وما فعلته في تلك الفترة أم ضدها ؟ هل يحكم المؤلف لصالح التطورات التي شهدتها المرحلة التاريخية أم يحكم عليها ويدينها ؟ لا يبدو البت بكلمة قاطعة أمرا سهلا ٠ ها نحن مرة أخرى نجد أنفسنا في قلب العالم المحفوظى عالم الحيدة والمراوغة والمادية والقبح ، فهل هذه واقعية تحليلية جديدة ؟ لا إنها ليست تحليلية على الإطلاق لأن لديك في الوقت نفسه شخصيات تنتحي بملامحها وأقوالها وسلوكها منحي غرائبيا وتميل إلى المبالغة والتهويل ولديك أيضا في لغة السرد وتصوير المكان قدرا كبيرا من التهويل الغرائبى والسريالي الخارج عن نطاق المنطقي والمعقول ثم إن العالم الحقيقي ليس وقفا على القبح دون الجمال ولا هو مبتلي بهذا الكم الهائل

من الدمامة والتشوه ولا هو رهين الغرائز والنزعات المادية دون سواها والأفراد في الحياة اليومية - كما نراهم - ليسوا في هشاشة أفراد الرواية وخوائهم الروحي ولا يعيشون في هذا الجو الغرائبي العجيب الذي تعيش فيه طيور العنبر ٠

وفي ندوة حضرها المؤلف نفسه في قصر التذوق بسـيدي جـابر مسـاء ٢/٨/٢٠٠٠م كان واضحا أنه بقصد أو بدون قصد لا يتحمس لتحديـد موقـف معين ، كلما سئل : لماذا فعلت كذا ؟ لماذا بدت تلك الشخصية على هذا النحـو؟ ما مغزى هذا التصرف أو هذا الاسم ؟ كان جوابه : أحسست أنها هكـذا تكـون أجمل أو أقرب إلى القارئ أو أكثر مناسبة للسياق ٠

وهكذا يوعز إلينا المؤلف أنه في النهاية لا يهدف إلا إلى تكوين خيالي شديد الثراء بشخصياته وأحداثه بخياله ووهمه وواقعيته بحقائقه وضلالاته عالم زاخر بالحيوية والحركة والصور والعواطف والأفكار عالم منسجم مع نفسه ، نوع مـن الفن للفن ومع هذا فهو يستثير في نفس المتلقي مشاعر العطف علـى الإنسـانية والشفقة من مصيرها وتوجهاتها ٠

وبعد ثماني روايات وبضعة مجموعات قصصية وخبرة ربع قرن في الكتابة يصح أن يوصف النشاط الإبداعي بأنه مجرد صنعة أيقنها محترفها حين يمـزج أخلاطا متنوعة من كل عناصر البناء القصصي بنسب متوازنة لا يمجها الـذوق العام وتنجح في إمتاعه بوضع صورة عاطفية إلى جانب قضية دينية مع غمـزة سياسية ولمحة وقطعة فكاهة ومشهد بكائي وترتيبها تصاعديـا حفظـا لا نتبـاه المتلقي وإغراء له باعتقاد أن الحياة في النهاية تتقدم بالرغم من معـاناة البشر

وليس عبثا أن نواجه المدرسة قيد الإنشاء في أولي صفحات الرواية ونودع "نوال" وهي تصبح على " حبشي " الذي يقود عددا كبيرا من اللقطاء ليدر بهم على السباحة سيتعلم هؤلاء السباحة في بحر الحياة ولكن إلى أية غاية ؟ كما سيلتحق " سليمان" بعمل وقد يصبح مؤلفا كبيرا ويتزوج جارته الصغيرة وتتزوج " نوال" وينجبون الأطفال ويعانون المزيد من القمع والظلم ويجاهدون في سبيل مجرد البقاء • هل هذا هو الهدف أن تنشئ نموذجا إنسانيا هشا هزيلا متفائلا برغم كل شئ وإن عصفت به الغرائز والأهواء وافتقدت حياته الركيزة الروحية المتينة ، نموذجا ينكسر أمام أول عقبة ويحيط نفسه بالغرائب والعجائب ليزداد وجوده غموضا وتمتلئ حياته بالعتمة والضباب في سبيل إبداع الرواية على طريقة الواقعية السحرية ؟

٢-عندما تجمع الظواهر الحياتية المحكومة بالسببية المنطقية الواضحة إلى حوار الظواهر الغامضة أو الغرائبية التي شهدناها عند (عيد والحبشي والديب)(*) واختار المؤلف عنوان الرواية من جوها المثير للخيال والعاطفة تكون منتهجا منهج الواقعية السحرية الذي انتشر في نصف القرن الأخير بفضل نجاحه العالمي على يد كتاب أمريكا اللاتينية وتوج هذا النجاح حصول الكاتب الكولومبي " جابرييل جارسيا ماركيز" على جائزة نوبل في الأدب على مجمل أعماله وخصوصا روايته " مائة عام في العزلة " المليئة هي أيضا بالشخصيات الغريبة ذات التصرفات المدهشة والخيال الجامح تمزج كل هذا بقدر لا بأس به من الإدراك الواعي والسلوك المنطقي والذرائعي حرصا على حياة بلا قيم ولا أمل • هذا اللون من الواقعية يمكن

(*) بالإضافة إلى سيناريو فيلم "الملاح" ورواية سليمان ذات المشاهد السريالية وحكايات فلفل مطحون عن تاريخ أسرته وأصولها الهندية•

أن نعده الواقعية الثالثة بعد الواقعية التسجيلية في إنجلترا وفرنسا التي تطورت عند " بلزاك ودكنز" إلى التحليل وبعد الواقعية النفسية في روسيا" تولوستوى وديستويفسكي " التي تطورت عند " بروست وجويس وفرجينيا وولف " إلى رواية تيار الوعي ٠ ولكن لماذا سميت واقعية سحرية ولم تسم روحية أو دينية ؟ لأن روادها خشوا أن تصير امتدادا لصوفية ديستويفسكي واستراندبيرج وكلوديل وجابرييل مارسيل وجراهام رجين ، لم يريدوا للأدب القصصي أو المسرحي أن يصبح بوق دعاية للدين وحرصوا بدلا من ذلك أن يحشدوا في مؤلفاتهم أو شابا مختلطة أسطورية وشعبية وانثروبولوجية ، لم تكن أحاديثها تسمع خارج دائرة الباحثين في حياة الشعوب البدائية وحفريات ما قبل التاريخ ٠ وهكذا تصور أن الواقعية الأوروبية التي اكتشفت أواخر القرن التاسع عشر خطأها بتجاهل الجوانب الروحية في حياة الإنسان وحاول أدباء مخلصون ذوو بصيرة تلافي هذا النقص الفادح في المذهب ، عادت القهقرة في منتصف القرن العشرين وانحرفت عن مسيرة تطورها الطبيعية بامتياحها من الخرافات والأساطير وإحياء حكايات بدائية وزعم أنها تمثل جزءا من التراث الروحي للإنسان المعاصر إنسان ما بعد اكتمال ملكات العقل والدين ٠

٣-ومنذ وقت ليس بالقصير ومع اهتمام دور النشر العربية بترجمة نماذج من هذا اللون الأدبي الأخير شرع أدباؤنا في تجربيه يكتبون عن شخصيات ومشاهد واقعية ويؤكدون واقعيتها بربطها بأحداث تاريخية بارزة ويتركون لأنفسهم هامشاً عريضاً لتصوير الأسطوري والغرائبي والشاذ والمنفر٠ والموهوب منهم المتقن لأسرار الصنعة يظل محافظاً على توازن النسب وينجو من إحراج الذوق العام ولكن - كما هو الحال مع كل اتجاه أدبي -

تزدحم المساحة دائما بأنصاف الموهوبين الذين يحولون التقليعة إلـــى كارثـــة ٠ ولندع أولئك يحاكمهم التاريخ ونسأل كتاب الصف الأول الممتازين الذين نـــري "إبراهيم عبد المجيد " في طليعتهم ، هؤلاء المؤمنين بقيمـــة الكلمـــة ودورهـــا الإنساني والاجتماعي ألا يرون معنا أنهم بهذا الشطح الإضافي يمعنـــون فـــي تعميق الهوة بين الأدب والحياة وفي تغريب مجتمعنا عن ذاته وتغييـــب وعيـــه وأصالته وتشتيت قواه الثقافية والحيوية ؟

أ٠د/ أحمد إبراهيم خليل

في ٢٠٠٠/٩/٣م

المنهج الأمثل لدراسة النص الشعري (*)

د. يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

الدراسة المثلي للنص الشعري لا تقتصر على دراسة النص ذاته، وإنما تتناول بالدراسة جميع عناصره المكونة له، والمحيطة به، والدافعة إلى إبداعه، مع دراسة مدي تأثيره في جمهور المتلقين على اختلاف منازلهم ودرجاتهم.

ومما لاشك فيه أن دراسة النصوص الشعرية يختص بها قليل من الناس، ممن وهبهم الله القدرة على تمييز أنواع الكلام، وتمكنوا - بعد طول الدربة والممارسة - أن يُؤَصِّلوا قواعد "علم الشعر" فيما كتبوه من مؤلفات تشهد على رسوخ قدمهم وعلو منزلتهم في هذا الميدان الفريد.

والمنهج الأمثل لدراسة النص الأدبى هو: المنهج الجامع لشتى التناولات النقدية لأدبنا العربي ،وهى التي تغطي بالدراسة جميع الجوانب التاريخية والنفسية والفنية لعناصرالعمل الأدبي المتمثلة في:"المبدع " و"النص" و" المتلقي".

ولما كان " المنهج التاريخي " يتناول دراسة النصوص الشعرية في صور معالجات شتي أمكن حصرها في أربع قضايا رئيسة هي:" قضايا الزمان" و"قضايا المكان " و"قضايا الإنسان" و "قضايا الفن الشعري "؛ فإننا نجد كثيراً من التمازج بين معالجات هذا المنهج ، وعناصر العمل الأدبي التي سبقت الإشارة إليها، بحيث تكشف دراسة هذه القضايا أسرار جميع عناصر العمل الأدبي.

(*) رغب إلى بعض الزملاء في كتابة ملخص موجز عما توصلت إليه من نتائج في رسالتي للدكتوراه عن : "مناهج دراسة النص الشعري في القرن الرابع الهجري " ، فكان هذا المختصر من تلك الرسالة

ففي دراسة "قضايا الزمان " في حياة " المبدع " نجد أنفسنا بحاجة إلى دراسة عصر المبدع الذي ظهر فيه، وسمات ذلك العصر من جميع جوانبه السياسية والاجتماعية والثقافية، شريطة أن نأخذ من ذلك ما يفيد في معرفة أثر هذا العصر في حياة المبدع ، ومدي انعكاس ذلك على إبداعه الفني .

وفي دراسة "قضايا المكان " في حياة " المبدع " ندرس البيئة التي نشأ فيها المبدع، والأماكن الأخرى التي ارتحل إليها، للتعرف على مظاهر ذلك في شعره، ومدي توفيقه أو عدم توفيقه في وصف مشاهد تلك البيئات التي عاش فيها، وهل تطرق وصفه إلى بيئات أخرى لم يقع عليها بحسه ولم يرها بعينه؟ ومدي توفيقه في ذلك .

وتعد دراسة تأثير البيئة في حياة المبدع وفي شعره من أبرز قضايا دراسة العمل الأدبي ، لأن الأدب ظل لهذه البيئة يتسم بسماتها، كما أن نتاج كل شاعر يتسم هو الآخر بالمشاهد التي رآها في بيئته وانفعل بها وتعامل معها وارتسمت صورتها واضحة في مخيلته ، لأن لكل شاعر مشاهداته الخاصة التي يختص بها، ليس من دون الذين يسكنون في غير بيئته، وإنما من دون الذين يشاركونه السكني في البيئة الواحدة ، وذلك كأن يكون أحد الشعراء قد عاش في قصور الملوك والحكام والأمراء، بينما عاش غيره من الشعراء من بيئته فيما يسكنه عوام الناس ، فلابد أن يتفاوت بينهما مجال التعبير، لأن كلا منهما يستمد وسائل تعبيره مما وقع عليه بحسه من مشاهدات .

وفي دراسة "قضايا الإنسان " ندرس حياة الشاعر الخاصة وأثرها في شعره، فنبدأ بمعرفة اسم الشاعر ونسبه ومولده وأسرته وقبيلته ونشأته وعقيدته وثقافته

وحالته الاجتماعية ٠٠٠ إلى غير ذلك من جوانب الدراسة التاريخية لحياة الشاعر وأثرها في شعره، بالإضافة إلى ربط ذلك بالتاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي المحيط بالشاعر، لأن هذا التاريخ العام يؤثر في حياة الشاعر وإبداعه الفني غاية التأثير٠

أما دراسة قضايا الفن الشعري لدي المبدع ، فإنها تظهر في دراسة تاريخ الفن الشعري بصفة عامة في الحقبة الزمنية موضوع الدراسة ، ثم دراسة مكانة المبدع في هذا التاريخ العام للفن الشعري ، لمعرفة ما يميز هذا الشاعر عن غيره من الشعراء في الوسط الذي يعيشون فيه ٠

وتكاد تنحصر الدراسة التاريخية للنص الشعري في تناول تاريخ الفن الشعري قبل إبداع النص موضوع الدراسة وفي أثناء إبداعه ، للتعرف على تاريخ الإبداع الشعري بعامة في تلك الأثناء، ثم نحاول الربط بين تاريخ الشاعر في الإبداع الفني ، وبين تاريخ الفن الشعري في إطاره العام ، لنتعرف على موقع الشاعر من ذلك التاريخ ٠

أما الدراسة التاريخية للمتلقي ؛ فإنها تكون بالتعرف على زمان هذا المتلقي من ناحية مدي اقترابه أو ابتعاده من المبدع ، مع دراسة المكان الذي نشأ فيه هذا المتلقي وأثره في نقده ، كما يجب أن نعرف الطبقة العلمية التي يمت إليها ذلك المتلقي ، من ناحية كونه من العلماء اللغويين الذين تقتصر نظراتهم النقدية على الجوانب اللغوية للنص الشعري ، أو أنه من النقاد العلماء الذين يحسنون دراسة الشعر وتمييز جيده من رديئه وإطلاق الأحكام الصائبة عليه ٠

ولعل في تلك الدراسات التاريخية لعناصر العمل الأدبي ، ما يدل على غيرها مما يشبهها ويدخل في إطارها، ويساعد في الكشف عن جميع الجوانب التاريخية الأخرى للعمل الأدبي التي سبقت الإشارة إليها٠

ثم يتناول " المنهج النفسي " عناصر العمل الأدبي هذه بالدراسة والتحليل، فيدرس جميع الجوانب النفسية المتعلقة بالمبدع ، كدراسة الدوافع والأسباب التي دفعته إلى إبداع نصه الشعري ، مع ربط ذلك بالأحداث التي واكبت عملية الإبداع، ثم دراسة مدي دلالة هذا النص على نفسية مبدعه، وهذا الأمر مرتبط بقدرة الشاعر الفنية على التعبير الجيد في كل الحالات النفسية والأغراض الشعرية التي يكون بصدد التعبير عنها٠

ثم يدرس " المنهج النفسي " من بين ما يدرس مدي تأثير النص الشعري في نفسية المتلقي ، وأسباب التفاوت في ذلك بحسب تفاوت حالات المتلقي النفسية، بالإضافة إلى نوع العلاقة القائمة بين المبدع والمتلقي ، لأن كثيراً من الأحكام التي أصدرها بعض النقاد حول معاصريهم من الشعراء ، كانت تقوم على الأهواء ، والظلم الكبير في بعض الأحيان ، نظراً لخلافات جرت بين الشعراء ومعاصريهم من النقاد، مما دفع هؤلاء النقاد إلى السعي الحثيث في طريق النيل من هؤلاء الشعراء بالحق أو بالباطل ، ويعد ما حدث بين المتنبي والحاتمي من النماذج الدالة على ذلك ، حيث تعددت رسائل الحاتمي في كشف سرقات المتنبي وإبراز عيوبه ، لدرجة جعلت الحاتمي يصرف جل نتاجه لتلك الغاية في صور وأشكال متعددة ، وذلك لا يكون إلا بسبب ما تنطوي عليه نفس الحاتمي تجاه المتنبي من أشياء ، ولابد لدارس النصوص الشعرية فيما تلا ذلك من عصور ، أن يمحص أقوال هؤلاء المتعاصرين في بعضهم، لأنها قلما تخلوا من مثل تلك

الأشياء ، التي تُحتاج معرفتها لكي يكون الدارس على بينة وعلى بصـــيرة مـــن أمره، لكي يتمكن من تأويل تلك النصوص تأويلا صحيحا أو مقاربا٠

وبعد هذه الدراسات الكاشفة للنص الشعري من جميع الجوانـــب التاريخيـــة والنفسية المتعلقة بالنص ومبدعه ومتلقيه، يكون المجال عندئـــذ مـــهيأ لدراســـة خصائص الصياغة الفنية للعمل الأدبي ذاته ، وذلك في إطار " المنهج الفنـــي"، وهو أهم مناهج دراسة النص الشعري ، وأولاها بالرعاية والاهتمام ، لارتباطـــه بالعمل الأدبي ذاته، وإن كان ذلك لا يقلل بحال من مكانة الدراســـات التاريخيـــة والنفسية – التي سبق عرضها – لأن هذا " المنهج الفني " لا يـــؤدي دوره علـــى أكمل وجه ، إلا بعد معرفة جميع تلك الجوانب التاريخية والنفسية ، قبل خـــوض غمار الدراسة الفنية للنصوص الشعرية٠

وتقوم هذه الدراسة الفنية على ثلاث اتجاهات رئيســـة في دراسة خصـــائص الصياغة الفنية للنص الشعري ٠

الاتجاه الأول : هو اتجاه تحليل النص الشـــعري ذاتـــه، ومعرفـــة مكوناتـــه الأساسية، ومدي توافقها مع الصياغة الشعرية الجيدة، وتتمثل هذه المكونات التي تجب دراستها في : الألفاظ ، والمعاني، والأساليب، والصور والأخيلة، والـــوزن الشعري ٠٠٠٠٠٠إلى غير ذلك من الدراسات التي تتعلق بتحليـــل النصـــوص الشعرية، ودراسة مكوناتها الأساسية٠

الاتجاه الثاني : هو اتجاه الموازنة بين النصوص الشعرية، في ظل وحـــدات معينة لابد من توافرها بين هذه النصوص لتسهل عملية الموازنة ، ويعد بـــاب

الموازنة من أبرز الأبواب التي تساعد في الكشف عن جوانب البراعة وجوانب القصور بين الأعمال الأدبية، ولا يخفي أن هذه الموازنة لا تكون إلا بعد تحليل النصوص ومعرفة خصائص عناصرها ٠

ولا شك أن كلا من اتجاهي : دراسة النصوص الشعرية،والموازنة بينها، يفضيان في نهاية الأمر إلى حكم جيد على هذه النصوص الشعرية،هذا الحكم يمثل الاتجاه الثالث من الدراسة الفنية للنصوص الشعرية، ولا شك أن هذا الحكم النابع من ذلك التاريخ الحافل بالدراسة والنظر، يكون أقرب الأحكام إلى الصحة والسداد، لأنه لم يأت حكماً متعجلاً قائماً على النظرة العابرة ، أو الرأي المتعجل، وإنما جاء حكماً قائماً على قواعد وأسس تساعد كلُّها في معرفة الجيد من الردئ من نصوص الشعر العربي ، ولا شك أن هذه الصور المتكاملة لدراسة النصوص الشعرية تعد هي الدراسة المثلي لكشف أسرار تلك النصوص ومعرفة مواطن الجمال والروعة فيها ٠

* * *

استدراك على ديوان " أوس بن حجر "

د٠ عبد الرازق عبد الحميد حويزي

" أوس بن حجر "من شعراء أهل الجاهلية النابهين اللامعين الذين بلغوا شأوا بعيدا في نظم الشعر العربي ــ وتملكوا زمامه ، وقد لمس أجدادنا النقاد تـــبريز هذا الشاعر وعلو كعبه في مضمار الفن الشعري ، فرددوا طائفة مـــن الآراء النقدية التي تفصح عن تألق موهبته الندية في سماء الشعر، وتلمح إلى منزلتـــه اللألاءة في دنيا الإبداع الشعري ، فقد " قال أبو عمرو بن العلاء كان أوس فحـل مضر، حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه ، وقيل لعمرو بن معاذ ـ وكان بصـــيرا بالشعر- : من أشعر الناس ؟ فقال: أوس ٠ قيل ثم من ؟ قال : أبو ذؤيب ، وكان أوس عاقلا في شعره ، كثير الوصف لمكارم الخلاق ، وهو من أوصفهم للحمـــر والسلاح ولا سيما القوس ، وسبق إلى دقيق المعاني ، وإلى أمثال كثيرة "(١)٠

ويرى " الأصمعي ت٢١٦هــ" أن " أوس بن حجر" :"أشعر مـــن زهـير، ولكن النابغة طأطأ منه"(٢) ٠ أما عن طبقة " أوس " فقد جعله " ابن ســلام الجمحـي ت٢٣٢هــ" على رأس الطبقة الثانية مع " زهير بن أبي سلمي" ، وابنه "كعـب" ، و"بشر بن أبي خازم" ، و"الحطيئة" ، ثم أورد " ابن سلام" بعد ذلك نصا؛ يفيد بأن شاعرنا كان يتمتع بطاقة شعرية عظيمة لا تقل عن طاقة "امرئ القيس " وغـيره من أفذاذ الطبقة الأولي الجاهلية٠ هذا النص هو: "وأوس نظير الأربعة المتقدمين إلا أنا اقتصرنا في الطبقات على أربعة رهط "(٣)٠

(١) الشعر والشعراء"لابن قتيبة" ص١/٢٠٢- تحقيق وشرح:أحمد محمد شاكر -ط دار المعـــارف بمصـــر - ١٩٨٢م٠

(٢)فحولة الشعراء"للأصمعي" ص١٥ تحقيق الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجي وآخـــر- المطبعة المنيريـــة بالأزهر -١٩٥٣م٠

(٣) طبقات فحول الشعراء ص١/٩٨ تحقيق الشيخ: محمود شاكر - مطبعة المدني - القاهرة - ١٩٧٤ م٠

وقد ضاع ديوان " أوس " فيما ضاع ، فلم ينج من يد الإهمال ، ولم يبق أمام الباحثين في العصر الحاضر إلا أن يهرعوا لجمع أشعاره التى تفرقت شذر مذر في المصادر المتباينة ، فنشط رهط من العلماء الأفذاذ لذلك ، وتمخضت بعض المحاولات عن هذا النشاط ؛ الأولى : كانت للمستشرق " رودلف جاير" الذي كان له فضل الرائد المتقدم في خوض غمار جمع ديوان " أوس " من مظانه المختلفة غير آبه بالجرائر الممضة في درب الجمع والتحقيق ، وقد أخرج "جاير" "طبعة له في فينة سنة ١٨٩٢ تناولها المستشرقان "بارت"،" وفيشر" بالنقد الشديد في مجلة المستشرقين الألمان "zdmg" (١)٠

والثانية: تحمل أعباءها الدكتور " محمد يوسف نجم " فقد حمل نفسه شظف الجمع والتحقيق لإخراج طبعة وافية تحف جميع شعر "أوس " المتناثر في بطون المصادر التي لا تحصي كثرة ، ومما يجب ذكره في هذا الصدد أن الدكتور : "نجم" صرح بأنه أفاد من طبعة "جاير" ، وأضاف إليها إضافات قيمة عثر عليها في مخطوطات: منتهي الطلب " لمحمد بن المبارك "، والتعازي والمراثي "للمبرد" ، والحماسة البصرية ، وغيرها٠

وبين يدي الآن الطبعة الثالثة ـ الطبعة الأخيرة حتى الآن ـ لديوان "أوس" بتحقيق الدكتور "نجم" ، صدرت هذه الطبعة عام ١٩٧٩م٠

---

(١) ديوان " أوس بن حجر " – ص١ من المقدمة – تحقيق الدكتور : محمد يوسف نجم – ط٣ – دار صادر – بيروت – ١٩٧٩م٠

وقد عثرت على جملة من الأبيات في مصادر تراثنا العريق ، هذه الأبيات لم أقف عليها في الديوان الماثل بين يدي الآن ، ورأيت من الواجب على أن أبـادر بوضع هذه الأبيات بين أيدي الدارسين كي تعم الفائدة ، وليتسنى للمحقق الفاضل أن يضيف هذه الأبيات إلى الديوان في طبعة لاحقه ، وها هي ذي الأبيات كمـا وقفت عليها في المظان المختلفة :

(١)

البيت الآتي : لم يرد في الديوان شعر على وزنه وقافيته ، والبيت هو:

فَأصبَحَ بَاقى الوُدِّ بيَنْي وبينِها ٠٠ عَلىَ حَفَفِ البغضاء قَدْ حَفَّ راكبُهْ [الطويل]

الشرح : "الحفف : الضيق " ل(أي لسان العرب) مادة (حفف)٩٣٠/٢ ، و"حـف القوم بالشئ وحواليه ٠٠٠ أحدقوا به وأطافوا به وعكفوا واستداروا" ل(حفـف) ٩٣٠/٢ .

التخريج : البيت ورد في كتاب " الجيم لأبي عمرو الشيباني " ص١/٢٠٤ .

(٢)

لم أقف في ديوان " أوس " على شعر يشبه البيتين الآتيين ، فيجب علينا – إن أردنا أن نسير على سنن الترتيب الذي ورد في الديوان – أن نفردهما بقطعة قائمة برأسها ، ونجعلها تحت رقم (٤)، والبيتان هما : [البسيط]

(١) يامَن يَرَى الظُّعْنَ بالعَلْياءِ غَاديةً   على مراكبِ ساج غير أَحْراج

(٢) لم يعدُ أن شال ثدْياها كأنهمـا   رُمَّانتا زبدٍ بالماء عَجَّـاج

الشرح : (١) الحرج: مركب للنساء والرجال ليس له رأس " ل(حرج) ٨٢٣/٢،

(٢) الزباد: نبت معروف٠٠٠له ورق عراض وسنفة" ل"زبد" ١٨٠٣/٣، " ونهر عجاج٠٠٠ كثـير الماء كأنه يعج من كثرته وصوت

تدفقه " ل(عجج) ٢٨١٣/٤ .

التخريج : الأول في الجيم ٢٠٤/١ ، والثاني في المصدر ذاته ٦٢/٢ .

(٣)

يضاف البيت الآتي إلى المقطوعة رقم : (٩) من الديوان ص٢٣ ، والبيت هو : " الطويل "

فَمَنْ قَالَهُ مِنّا وَمِنْكُم ومنهم .. فلا زَالَ غُلّاً من حديد يُلاكِـــدُ

الشرح : " الغُلَّة : الغِلالَة ؛ وقيل هي كالغِلالة تُغَلُّ تحت الدِّرع ، أي تدخـل ، والغلائل : الدُّروع " ل ٣٢٨٧/٥ ، " الملاكدة : المعالجــة" الجيـم ٢١٤/٣، " وتلكد الشئ : لزم بعضه بعضاً " ل ٤٠٦٧/٥ .

التخريج : الجيم ٢١٤/٣ .

(٤)

يضاف البيت الآتي إلى القصيدة رقم : (١٢) ص٢٦ ، والبيت هو "الطويل"

فَلَسْتَ وإن عَلَّلتَ نفْسك بالمُنَي .. بذِي سُؤْدَدٍ بادٍ ولا كَرْبِ سيدِ

الشرح : " الكرب : القرب " ل (كرب) ٣٨٤٧/٥ .

التخريج : الجيم ١٥٧/٣ .

(٥)

لم يشتمل ديوان "أوس" على قصيدة تشبه هذا البيت في الوزن والقافية: "الطويل"

وأَسْمَرَ خَطِّيّاً كأن كُعُوبَــه .. نَوَى القَسْبِ قد أَرْدَي ذراعاً على العَشْرِ

الشرح: أردي يردي أي زاد " ل (ردي) ١٦٣٢/٣ ."الكعب ... هو أنبـوب

ما بين كل عقدتين " ل (كعب) ٣٨٨٨/٥، " القسب: التمر اليابس يتفتت في الفم، صلب النواة ٠٠٠٠ ونوي القسب : أصلب النوى " ل (قسب) ٣٦٢٢/٥ ٠

التخريج : البيت لأوس في اللسان (ردي) ١٦٣٢/٣، وهو بلا نسبة في المصدر ذاته (قسب) ٣٦٢٢/٥ ، وعقب " ابن برى " على البيت بقوله : "هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائي ، ولم أجده في شعره " ، ورواية البيت ل (قسب) هي :"قد أرمي"٠

(٦)

الأبيات التالية تضاف إلى القصيدة رقم : (٢٨) ص٥٧ -٦٠ قال " أوس بن حجر" " الطويل"

(١) على دبرِ الشهرِ الحرامِ بأرضِنا وما حـولَه بعد السنين تَلَفَّـعُ
(٢) فقد قَرَّ أعيانَ الشوامتِ أنهُـمْ برامةَ أُحـدان ضُحي الغَدِ ظُلَّعُ
(٣) وأنت عَقَامُ لايُصابُ له هَـوىً وذو همَّةٍ في المـالِ وَهْو مُضَيَّعُ
(٤) ضَمَمْنا عليهم حُجرَتَيهم بصادقٍ من الضَّرْبِ حتى أُرعِشوا أو تَضَعْضَعُوا

الشرح : (١) "التفعت الأرض : استوت خضرتها ونباتها " ل (لفع) ٤٠٥٤/٥

(٢) أعيان : جمع عين (حاسة البصر)٠

(٣)العقام : السئ الخلق الجيم ٦٠٣/٢ ٠

(٤)"حجرتا العسكر: جانباه من الميمنة والميسرة" ل (حجـر) ٧٨٣/٢، "الضعضعة : الخضوع والتذلل " ل (ضعع) ٢٥٨٦/٤ ٠

التخريج : (١) في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (القسم ٣/مجلد٢ / ص٨١٩، وذكر " ابن بسام بيتين من أول القصيدة ، هذا البيت هو الثاني منهما، وهو لم يذكر في الديوان ٠

(٢) الجيم ٢/٣٠٤ .

(٣)الجيم ٢/٣٠٦، ول ٣٠٥١/٤ بلا نسبة .

(٤) الجيم ٢٠٤/١ .

(٧)

البيتان التاليان محلهما القصيدة رقم : (٣١) ص٧٥ - ٧٦من الديوان ، والبيتان هما : " البسيط "

(١) حتى تراهم وقدْ مالت عمائمُهُمْ   صرعي الغُبارِ وَمرْمياً به العطُفُ

(٢) إلا نُفَيراً على الأحفاشِ أربعةً   إذا رأوا قاصعَاءَ نَفَّقَتْ وَقَفُوا

الشرح: (٢) الحفش : البيت الذليل القريب السمك من الأرض ، سمي به لضيقه ، وجمعه أحفاش وحفاش" ل(حفش) ٩٢٧/٢، " القاصعاء والقصعة : فم جحر اليربوع أول ما يبتدئ في حفره " ل (قصع) ٣٦٥٤/٥ ، " النفقة والنافقاء : موضع يرققه اليربوع من جحره ، فإذا أتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج " ل (نفق) ٤٥٠٨/٦ .

التخريج : (١) الجيم ٣٠٦/٢ .

(٢) الجيم ١١٩/٣ .

(٨)

روي المحقق في الديوان - مقطوعة رقم : (٣٣) ص٧٩ من الأبيات الآتية البيتين : الثالث والرابع ، كما روي بيتا لم يرد هنا ، وقام بالفصل بين الأبيات الثلاثة التي رواها ، فروي كل بيت على حده ، وها هي ذي الأبيات كما وقفت عليها:

(١) ألا أبلغ بني بكْر رَسـولاً   فقد ضَمَّ الظَّنَابيب السـباقُ [الوافر]

(٢) إلى الغاياتِ أعلي المَجْد حتى   حَسَرْنَاكم وُبرِّزَت العـتاقُ

(٣) وسالَ بنا الغبيطُ وجانبـاه   على حَنَق وسال بهم أفـاقُ

(٤) أَطَعْنَا ربَّنَا وعصاه قَـوْمٌ   وذُقْنا غِبَّ طَاعَتِهِ وذَاقُـوا

الشرح : (١) "الظنبوب : حرف الساق اليابس من قدم، وقيل: هو ظاهر الساق، وقيل: هو عظمه " ل (ظنب)

(٢) " غب الأمر ومغبته : عاقبته وآخره" ل (غبب)٢٢٠٣/٥ ٠

التخريج : الأبيات على هذا النمط في اختيار الممتع ص ٤٣٩/٢-٤٤٠ ٠

(٩)

يضاف البيت التالي إلى المقطوعة رقم : (٣٦) ص٩٣ ، والبيت هو: "

وَظَلَّ سنَان الرمْحِ لما عَبأته ٠٠ عَلَى حَذَرٍ مِنْهنَّ عَلَّانَ نَاهِـلا "الطويل"

الشرح : عبأته : هيأته وجهزته للحرب ٠ انظر في هـذا المعنـي ل (عبـأ) ٢٧٧٣/٤ ٠

التخريج : الجيم ٣٠٦/٢ ٠

(١٠)

البيتان التاليان يضافان إلى القصيدة رقم : (٣٧) ص٩٤ ـ٩٨،وهما

(١) وآل بلالى أَجَـادَ أبوهـم   كَذَاك الجوادُ عرقه مُتَقَيّـلُ [الطويل]

(٢) فتلك التي يُرْدِي الرَّمية سَهْمُهَا   ويخـرُجُ منها نافذاً يَتَزَلْزَلُ

الشرح : (١) " التقيل: أن يشبه أباه " الجيم ١١٩/٣ ٠

التخريج : (١) الجيم ١١٩/٣ ٠

(٢) الجيم ٦٢/٢ ٠

(١١)

البيت الثاني من البيتين التاليين أخل به ديوان " أوس بن حجـــر" ، والبيــت الأول ورد في الديوان المطبوع برواية أخرى تخالف الرواية التي بين أيدينـا ، والبيتان تابعان للقصيدة رقم (٣٩) ص١٠٠ في الديوان ، وهما:

هَمَمْتَ بباعٍ ثم قَصَّرْتَ دُونــه كما تنهض الرَّجزاءُ شُدَّ عِقَالُها [الطويل]

وإن كثيرًا إن تكلف مُفْرِقــاً من القول أعلا سَورةٍ لا تنالها

الشرح : فرق له عن الشى : بينه له " لسان العرب ٣٣٩٩/٥ ٠

التخريج : الزهرة ٦١٩/٢ ٠

(١٢)

البيتان الآتيان تابعان للقصيدة رقم: (٤١) ص١٠٧ ـ ١٠٨ ، وينسبان إلــى "أوس بن حجر" ، و" حسان بن حنظلة " ، وأرجح نسبتهما " لأوس بـن حجــر " لاتفاقهما في وزن وقافية القصيدة والمناسبة التي دفعت " أوس " إلى نظم البيتيـن أنه انتمى إلى "طئ" ، فعيرته امرأته ، فقال: " الكامل"

(١) غَضِبَتْ عَلَيَّ أن اتصلتُ بطيءٍ وأنا امرؤ من طَيئِ الأَجْيــالِ

(٢) وإذا دَعَوتُ بني جَدِيلةَ جَاءَني مُرْدٌ عَلَىَ جرْدِ المُتُونِ طِـوَالِ

التخريج : البيتان في اختــيار الممتع ٣١٥/١ ، وهما فــي شــرح ديــوان الحماسة ١٠٥/٤ " لحســان بن حنظلة بن أبي رهــم بن حسان بن حية بــن شعبة "٠

(١٣)

البيت الآتى يضاف إلى القصيــــدة رقــم : (٤٥) ص١١٣-١١٤ ، وبــدت العشوائية في ترتيب أبيات هذه القصيدة ، وقد أماط " الجــاحظ ت ٢٥٥هــ " اللثام عن الترتيــب المطرد للأبيـــات في كتابه : " البرصـــان والعرجـان " ص٨٣ ، والترتيب الــذي أورده " الجــاحظ " هــو: ١، ٢ ، ٥ ، ٦، ٣، ٤ ،

والبيت هو: " السريع "

(فقات) من أفْلَتَ من عَامِـر رَكْضاً وقد أُعجِل أن يُلجمــا

التخريج : البيت في البرصان والعرجان ص٨٣ (تحقيق المرحوم : عبد السلام هارون) ، ويبدو أن تصحيفا حدث في هذا البيت في الكلمة الأولى ، وأرى أنــها "ففات " من الفوت ،

(١٤)

هذا البيت يضاف إلى المقطوعة رقم : (٤٧) ص ١١٦ : " الطويل"

سواءٌ إذا ما أَصْلَحَ اللهُ أمْرَهُم عَلَىَّ أَدُثْرٌ ما لَهمْ أم أصَارِمِ

الشرح : الدثر بالفتح المال الكثير " ل (دثر) ١٣٢٧/٢، "وأصرم الرجل : افتقر، ورجل مصرم قليل المال " ل (صرم) ٢٤٣٩/٤ ،

التخريج : الجيم ٢٦٨/١ ،

(١٥)

روى البيت الأول من المقطوعة التالية ضمن القصيــــدة رقــم ٤٨ص١٢١، وروي الخامس أيضا في نفس القصيدة ص١٢٤ ،أما بقية أبيات المقطوعة فلــم يرد لهما ذكر في الديوان المطبوع وها هي ذي المقطوعة كما وقفت عليها ،

١- ومُسْتَعجِلٍ مما يرى من أناتنا ولو زَبنته الحرب لم يَترَمْرَمِ [الطويل]
٢- وما المَلِكُ الجبَّارُ حين تَكيدُه يكيدُ على أرحامِنا بمُحَـــرَّمِ
٣- لَعَمْرك ما المُعْترُّ يأتي بُيُوتَنا لِنمْنَعَهُ بالضائع المُتَهضَّـــمِ
٤- وما ضَيْفُنا عند القِرَى بمدفع ولا جارنا في الغَائنات بمُسْلـــمِ
٥- بَنىومالى دُونَ عِرْضى وقاية وقول كَوَقْع المَشْرَ فِيِّ المُصَمَّمِ
٦- زَيَفْنا إذا لاقي الرجالَ كأنَّــهُ إذا قعدوا مُسْتوفزٌ فوقَ جُرْثُــمِ

التخريج : الأبيات ١-٥ في اختيار الممتع ٢٢١/١ - ٢٢٢ .

(٦)روى في الجيم ٦١/٢ ، وأرجـــح لأنه " لأوس " لأن صاحب " الجيـــم" أُورد بيتاً "لأوس" ثم أردفه بالفعل :"وقال" مما يدل على أنه "أوس بن حجر" هو القائل .

(١٦)

هذا البيت يضاف إلى القصيدة رقم : (٥٣) ص ١٢٩ : " الكامل"

فَرَبَتْ وهَيَّجها أقَبُّ مُقلَّصٌ زَبَدٌ خَنُوفُ الرَّجْعِ غيْرَ قَرُون

الشرح: الأقب : "وقال بعضهم : قب بطن الفرس ، فـــهو أقـــب ، إذا لحقـت خاصرتاه بحالبيه، والخيل القب : الضوامـــر " ل (قبـــب) ٣٥٠٧/٥ ، "وفـــرس مقلص بكسر اللام : طويل القوائم منضم البطن ، وقيل : مشـــرف مشـــمر" ل (قلص) ٣٧٢١/٥ . الزبد: هو اللغام الأبيض الذي تتلطخ به مشافر الحيـــوان إذا هاج - انظر ل (زبد) ١٨٠٣/٣ ." خنف الفرس يخنف خنفـــا ، فـــهو خـــانف وخنوف : أمال أنفه إلى فارسه " ل (خنف) ١٢٧٩/٢ ."القرون :الذي يعـــرق سريعا "ل (قرن) ٣٦٠٩/٥ .

التخريج : الجيم ١١٩/٣ .

التخريج : الجيم ٣/١١٩ ٠

(١٧)

وقال " أوس " " الوافر"

إذا احتفلَ السراةُ يكون زاءً وعِنْدَ الناسِ رَاءَ جَعْظَرِيّ

الشرح : الراء: القراد الصغير ، الضعيف ، والراء: زبد البحر ٠٠٠ الـــزاء: الرجل الكثير الأكل ٠٠٠ الجعظرى : المفتخر المتعاظم بما ليس عنده " ٠ ثلاثــة كتب في الحروف ص ٣٨ ٠

التخريج : ثلاثة كتب في الحروف ص ٣٨ ٠

أما العجز الذي أثبته المحقق في آخر القصيدة رقم : (٤٨) ص١٢٤ فـــهو غير صحيح النسبة "لأوس بن حجر " ، وإنما هو "لابن أحمر الباهلي " ينظر في ذلك : أمالي القالي ١/١٩٩ ، وسمط اللآلي ١/٤٨١ ، واللسان ٣/١٥٠٠، وتـــاج العروس ١٠/١٣٥ ، وديوان عمرو بن أحمر الباهلى القصيدة ٤٤/ البيت /١١ ، ص ٢١٤ ٠

* * *

المصادر

١-اختيار الممتع في علم الشعر وعمله:لأبي محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي (ت٤٠٥هـ) – تحقيق : الدكتور محمود شاكر القطان - دار المعارف بمصر - ١٩٨٣ -١٩٨٥م.

٢-الأمالي: لأبي على إسماعيل بن القاسم بن عيذون القالي (ت٣٥٦هـ) - طبع في مطبعة السعادة بمصر - ط٣ -١٩٥٣ .

٣-البرصان والعرجان والعميان والحولان : لأبي عثمان عمرو بن محبوب بن بحر الجاحظ(١٥٠-٢٥٥هـ) تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون - دار الرشيد ، دار الطليعة - العراق - ١٩٨٢م.

٤-تاج العروس في جواهر القاموس: لمحب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضي الحسيني الواسطي الزبيدى (ت ١٢٠٥هـ) - المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر - ١٣٠٦هـ.

٥-ثلاثة كتب في الحروف : للخليل بن أحمد (١٠٠-١٧٥هـ)، وابن السكيت (ت٢٤٤هـ)، والفخر الرازي - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار رفاعي بالرياض ١٩٨٢م.

٦- الجيم: لأبي عمرو الشيباني (٩٣-٢١٣هـ) - تحقيق : لفيف من المحققين في مجمع اللغة العربية في القاهرة - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - ١٩٧٥ م.

٧- ديوان أوس بن حجر: تحقيق وشرح: الدكتور محمد يوسف نجم - دار صادر - بيروت - ط٣ - ١٩٧٩م.

٨- ديوان عمرو بن أحمر الباهلي: جمع وتحقيق وشرح: عبد الرازق عبدالحميد حويزى - الجزء الثاني من رسالة الماجستير التي تقدم بها إلى كلية

اللغة العربية – بإيتاي البارود ٠

٩- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٣هـ) – تحقيق : الدكتور إحسان عباس – ط دار الثقافة – بيروت – لبنان – ١٩٧٩م٠

١٠- الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الأصفهاني ت(٢٩٦هـ) تحقيق د٠ إبراهيم السامرائى وآخر ٠ مكتبة المنار الأردن – ط٣ – ١٩٨٥م٠

١١- سمط اللآلى في شرح أمالى القالي: لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسي (ت٤٨٧هـ) – تحقيق : عبد العزيز الميمني – مطبعة لجنة التأليف والترجمة – ١٩٣٦م٠

١٢- شرح ديوان الحماسة (حماسة أبي أحمد بن محمد المرزوقى (ت٤٢١هـ) نشره : أحمد أمين ، وعبد السلام هارون – مطبعة لجنة التأليف والترجمة – ط١ – ١٩٥١م٠

١٣-الشعر والشعراء:لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت٢٧٦هـ) – تحقيق وشرح:أحمد محمد شاكر – دار المعارف بمصر ١٩٨٢م٠

١٤ـ طبقات فحول الشعراء : لأبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي (١٣٩-٢٣١هـ) تحقيق الشيخ محمود شاكر – مطبعة المدني – القاهرة – ١٩٧٤م٠

١٥ـ فحولة الشعراء: لعبد الملك بن قريب بن على بن أصمع الباهلى (ت ٢١٦هـ) شرح ونشر: محمد عبد المنعم خفاجي ، طه محمد الزيني – المطبعة المنيرية بالأزهر – ١٩٥٣ م٠

١٦ـ لسان العرب : لأبي الفضل جمال الدين بن مكرم (ابن منظور ت٧١١هـ) تحقيق : عبد الله على الكبير ، وآخرين – دار المعارف – ١٩٨١ م٠

وقفة

شعر: محمد فتحي نصار

وإن شفائي عـــــبرة مهراقة
فهل عند رسم دارس من معول
...الملك الضليل

قِفانبْكِ ما قد كـــــان قبل التَّحَلُّلِ
ونرثي زمانا لم يزل خير منهـــــلِ
وذكرى كأحلام النيام إذا صَحَــوا
فلم يبق منها غير طيفٍ مهلهـــلِ
وما المجد إلا أن نعيش بعـــــزةٍ
ونأبَي حيــــــاةً كُفِّنت بالتذلل
قفا بي على أطلالِ مجد مُهَــدَّمٍ
وقد كان نبع الفخر في كلِّ مَحْفِــلِ
بناه لنا الماضون بالدم واللظـــىٰ
ليبقي على الدنيا بغير تـــــزلزل
وخلَّوه للأبناء بعد تمامــــــه
بناءً عظيما لا يخر لمعْـــــــوَلِ
وقالوا لنا : هذا هو الأمس كلـــه
خذوه سراجــــا للغــدِ المتَحَــوِّلِ
خذوه تراثاً جَدِّدوه بعلمكــــــم
ولا تتركوه للفنــــــاء المعطـــل
ولا تُفْتَنوا بالمحدَثات وزيفهـــا
فما من جديدٍ بالفنا غـــير مثقـــل

ولكنَّنا سِرْنا على سُبُل العَمَــــى
ولم نستمــع يوماً لصوت مجلجــل
عكفنا على اللذات في خلواتهـــا
على حاضرٍ بالمنكرات مكبـــــل
وسرنا وراء اللهو دون تَلَبُّـــثٍ
ولم نأل جُهْداً في الضياع المعجِّــلِ
ولم نلتفت للباقيات وراءنــــــا
وفيها لنا من خوفنا خير موئـــل
وقد علم الخلَّاق سر بقائنـــــا
فلم يترك الدنيا لكل مؤمِّـــــل
دعانا إليها من غياهـــب نومنا
لتَسْعَي بنا فوق الصعاب لأكمــل
ونحيا به في سرِّنا ووضوحنــــا
ونأوي إليـــه كل حيــن لنجتلــى
وها قد نسينا في المتاهــة عهدنا
وسرنا على نهج الحياة المضـــلّ
ولم نستمع صوت الضمير يَرُجُّنا
بنَقْسٍ عنيفٍ في العظام مصلصل
فمدَّ إليـنا ذو الجلالـــة كفَّـــه
مصابيحَ تهدى كل غاوٍ مُبَلْبَــلِ
تفيض علينا من كريـــم عطائه
وتَفْجُرُ في قلب الفلا كلَّ جـــدول

وتجني لنا من كل غيبٍ مُحَجَّبٍ
وتغرس فينا كُلَّ آي مرتـــــــــل
دعتنا لباب الله حتى كأننـــــا
بأبواب فردوس٠٠بغير تَخَيُّـــــل
تُعَلِّمنا الوحىَ الكريـمَ مصدَّقــاً
وتفتح أسرار الكتـــــاب المنزَّل
فتابعها مَنْ طهَّــر اللهُ قلبَــــهُ
ورَشَّ عليه قطرةً من تَعَقُّـــــل
وعاندها من سَوَّدَ الله صَـــدْرَهُ
فما يهتدي فيـــه شعاع التقبُّـــلِ
وجاوبها قـــومٌ أحسوا بنورهـــا
فكانت لهـم ردءاً بسيـــط التكفل
وكانت لهم ظلاًّ يقيهـــم نفوسهم
ويلقي عليهم بالأمان المظَـــــلَّلِ
وكانت لهم رِيًّا إذا فقدوا الــــرِّوا
وكانت لهم صُبْحاً على كـــل أَلْيَلِ
وكانوا لها أرضا فكانت لهم سمـــا
تُجَلِّي لهم بالوحي أحْـــلَكَ مشكـل
وكانوا لها سيفا على كل غـــارة
فكانت لهم درعا لدي كل مُعْضِـــل
وكانوا وكانت للزمان هدايـــةً
إلى الله ، لم يأسَوْا ولم تَتَبَــــذَّل

فألقت على جيش الظلام مشاعلاً
تغطي ببشراها على كل مشعـــــل
تسير أمام النــاس في كل وجهةٍ
فيأوي إليها كل عانٍ مُتَقَّـــــــلِ
ويأوي إليها فيلســــوفٌ تمزَّقَتْ
عباءتُـــهُ سعياً إلى كـــل أَمْثَـــلِ
فدانت لها كل الديانات واستـــوى
لنا كل دربٍ في الخلودِ مؤصَّـــــلِ
ودان لنا من خالفونا بما نــــــرى
فسرنا نُضَوِّي كل فكــــرٍ مَخَلْخَلِ
ومِنْ بُعْدِ شهرٍ يسبق الرعبُ جيشَنا
ليعنو لنا فوق الثرى كلُّ جنــــدل
أقرت لنا الدنيا بكل حقوقنـــــــا
وجاءت بوجه العـــــارف المتجمِّل
حكمنا عليهاءما أثمنا بحكمنـــــا
وما كان منا صولةٌ ضــــدَّ أعــزل
وما كان منا ظالــــمٌ متبجِّــــحٌ
يسير برأيٍ في الملمَّـــــات أخطل
فلم نَحتشدْ إلا لتأديب غاشــــــمٍ
ولم نحتفـــلْ إلا لقـــوَّة جَحْفَــل
عفونا عن المستضعفيـــن بدارنـــا
فعاشوا لدينـــا عيشـــةَ المتــدَلِّل

لهم ما لنا والعكــس حقٌّ عليهمــو
وعن دأبنا في الحق لم نَتَحَـــــوَّل
نُؤَدِّبُ من قد رامنا بإهانـــــــةٍ
ونسقيه من نيراننــــا كأسَ حنظــل
ونصفح عمَّـــن يحتمي بسيوفنــا
ونَغْمِزُ أُلْباب الرجـــال ونبتلــى
حيينــا زمانـــاً في الأمان وظلــه
وكان عزيز الرأس عالي التبتـــــل
ولم ندر طعم الذل والذل علقـــــمٌ
ثقيل على قلب الفـــتَى المتحمِّـــل
إلى أن أتتنا الأرضُ تعلنُ طَوْعهــا
فألقت إلينــــا كلَّ كنز مـــذَلَّلِ
فنمـــنا وأغمدنـــا سيوف قلوبنــا
وعشنا على وهمٍ ضرير التوكـــــل
إلى اللهو سرنا لم نحصن صدورنا
ولم نرع فينا صرح مجدٍ مؤثـــــل
فقام أناسٌ لم يكونوا بأُمَّــــــةٍ
ليعدو علينا حـــينَ نسقط من علِ
وعدنا إلى الماضي نجرُّ همومنــا
لنقبع في بالي الأديـــم المركَّــل
رضينا بذل لم نكـــن لنقـــرَّهُ
على جارنا في ضعفـــــه المتملِلِ

وقلنا سنحيا خلف أبواب دورنـــا
ونرضى بعيش الراهب المتعــزل
ونترك قوماً للمكـــــــارم غيرنا
ونهوي بأيدينـــا لأسفل أسفـــــل
ولم ندر أن الكون سوف يدوسنـــا
ويسلب منا كلَّ حـــقٍّ مجـــلَّل
إلى أن تولَّى أمرَنا من أضاعــــهُ
وقام علينا قــــــائمٌ لم يؤهَّـــــلِ
فألقي بنا للعالميــــــن فريســــةً
وساروا علـــى أشلائنا في تهــلل
ولم يبق فينا غير ذكــرى بعيــدةٍ
ولم تجن منا غير ذُلِّ التوسُّـــــــل
نُقَبِّلُ أيدي ظالمينـــــا بحســرةٍ
ونقنع مـــن أرزاقنـــا بالتسَـــوُّل
وباتت دماءُ المسلمــــين مباحـــةً
لكل حقــــــير بالعَداء مُذَبَّـــــلِ
وأعراضهـــم بين الأنــــام مبيعة
لكل غوي بالحــــرام مسَـــــرْبَلِ
وأرزاقهـــم بين اللصوص حبيسة
وليـــس لهـم إلا فُتَــاتُ التفضُّـل
وأوطانهم لـــم تلف مِنْهُمُ حاميـــا
فيحمي جناها عن يد المتســـــلل

وإيمانهــم لم يَبْقَ منـــهُ سوى رؤى
تلوح لأقـــوام أسارى التَّـــــأمـــل
كمثلي في حبـــسى أُعاني مرارتي
وأغــرق في رَقٍّ بدمعـــــي مكـــــلل
مشوب بذل القهـــر في زفراتـــه
نزفت به دمعـــي ولمـــا يُغَسَّـــــلِ
ينادي بقايا أُمَّـــتي من قبورهـــم
فيسمع منهـــم حشرجـــات التمهـل
ويُبْصر منهـــم مشـــيةً مستميتـــةً
يعانـــون من طـــول الكَـــرَى والتَّرَهُّلِ
أُنا شِدُهُـــمْ: بالله قومــوا ‥ تحركوا
فتسمع منهـــم تأتـــآت التعـــــلل
إلى أن طـــواني اليأس بين ضروسه
وألقي علـــى صـــدري بأظلـــم كلكـل
ولســـت نبيّاً كي أحـــقق معجـــزاً
ولســـت إلى القـــوم النيـــامِ بمرسل
ولكننـــي بالفَـــنِّ أدعو أولي النهي
وأين همو بين الحُطـــام المُعَرْقِـــلِ ؟!
أنـــادي بصوتِ الفن والفنُّ عاجـــزٌ
سوى عن هراء بالقـــذي متنقـــــــل
يدور على كل البيـــــوت بزَيْفِـــهِ
ويعنَى بتزوير الـــرُّؤَى المتجـــــوِّل

وليس لأرباب الفنـــون نظيفـــةً
سوى الحبس في قاعٍ من الكبت مهمل
ينادون أسماعـــاً كأسماع صخـــرة
ويدعون جمعاً مثل نَبْت التطفـــــــل
يرى عن سمـــاع الحقِّ أبعدَ مُنْصِتٍ
وفي معمعات اللهـــو أول مقبـــــــل
فلا تعجبوا أني وأدتُ قصائـــــدي
وصنت عن الإسفاف واللغـــو مِقْوَلـــي
ولم أستمع للقوم يتهموننـــــــــي
فما عـــدت أزُهَـــى بالحديث المطول
وما عاد للشعر المغرد من صـــدَي
فكيف له بالعنفوان ؟وكيف لـــــي ؟ !
دعـــوني أخط اللَّحْدَ بين صحائفي
فما عدت أجرى خلف عمرٍ مؤجَّـــــل
لمن سوف أشدو بالغناء ولحنـــــه
وأنغامِ فنٍّ رائعـــــات التميـــــــل؟!
ومن ســـــوف يصغي للغناء بقلبه
ويَلْقُطُ منه كل خيـــط موصـــــــل؟
ويسمو به فوق الذرا وكأنـــــــه
كتابٌ مـــــن الرحمــــن غير مبـــدل!
يُغيث قفـــاراً قد تشقق قلبهـــا
فتنبت من إلهامه كـــل سُنْبُـــــــلِ

وتصنع مِن أوزانــــه يوم عيدها

ويوم حصاد الخير أشرف منجــــلِ

وتطلق من أبراجــــه يوم عُرسها

قصيداً شجياً من حمائـــم هُــدَّلِ

تسلسله للظَّــامئيـــــن مشَعْشَعــاً

وتسكب فيـــه من هواهــا المخَضَّل

وتعزفه أشجـي وأعذب نغمـــةٍ

فيسرى ويسرى كالنســيم المبـلل

ويرعش خَمْرِ يًّا بأروع نشـــوةٍ

تطير به فوق السحـــاب المرَجَّـل

فيبقي نشيداً للنفوس إذا صَحَــتْ

٠٠يكون لها بابَ العُلا، ولمن يلــــي

شعر :

محمد فتحي نصار

واحة التراث العربي

استحدثت مجلة " آفاق أدبية " بابا
ثابتا بعنوان:" واحة التراث العربي "،
نسأل المولى - سبحانه وتعالى - أن
يعين على القيام به في الأعداد المقبلة ،
وهو يُعنى بنشر إحدى الرسائل الصغيرة
المخطوطة التي لم يسبق نشرها، أو التي
نشرت من قبل نشرة غير محققة ،
فإذا كبر حجم هذه الرسالة فسوف تنشر
في حلقتين أو أكثر ،بما يتناسب مع
حجم المجلة وقدراتها
الأدبية والمادية ٠

الرِّسَالَةُ الحِكَمِيَّةُ

تأليف

أبى هلال : الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري

المتوفى بعد سنة ٣٩٥هـ

تحقيق ودراسة

الدكتور

يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

مدرس الأدب والنقد بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

* المنُّ يســـــوِّد وجـــــه المِنَّةِ .

* العلم والراحة ضَرَّتان لا تجتمعان .

* الخمول أصلح للجاهل من النَّباهة ؛ لأن الخمولَ يستر معايبَهُ ، والنباهةَ تُبَيِّنُ مثالبه .

"أبو هلال العسكري"

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم وسار على دربهم إلى يوم الدين ، وبعد :

فالحكمة تمثل في جوهرها عصارة تجارب الأمم والشعوب، وقد كانت الأمة العربية الإسلامية ولا تزال منبع الحكمة وموطن البيان ، لما جبل الله عليه رجال هذه الأمة من : رجاحة عقل ، وفصاحة لسان ، وبلاغة بيان ، مع نزوعهم إلى التفكر والتأمل في أسرار الكون ومكنونات الحياة ، ومن ثم فقد انسابت الحكمة على ألسنتهم رطبة قوية مؤثرة تقهر عوامل الفناء والاندثار ٠

ولاشك أن الحكمة تتميز بالإيجاز الشديد في الألفاظ ، والغزارة التي لا حد لها في المعاني ، مع ما يتميز به أسلوبها من : إشراق العبارة ، ودقة الصياغة، وموسيقية التعبير، مما سهل حفظها في القلوب والعقول ، وساعد على الإكثار من التمثل بها في شتى المواقف والمناسبات٠

وهذه " الرسالة الحِكَمِيَّةُ " لأبي هلال العسكري ، محققة لأول مرة، وقد أهداها أبو هلال إلى بعض الرؤساء، وساق من خلالها بعض الحكم والمواعظ التي تفيد جميع الناس ، و"ليس هدية أفضل من

كلمة حكمة تهديها لأخيك"(١) ، وهذه الرسالة - برغم صغرها - تعبر بحق عن جانب كبير من فكر أبي هلال، وما اكتسبه من تجاربه الخاصة في الحياة، أسأل المولى - سبحانه وتعالى - أن ينفع بها، وأن يجزى كل من ساهم في نشرها خير الجزاء٠

دكتور

يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

---

(١) الحديث رواه الدارمي في سننه: ١١٢/١ باب في فضل العلم والعالم(٣٢) حديث رقم :٣٥١ ٠

القسم الأول

مقدمة التحقيق

١ــ التعريف بأبي هلال العسكري:

هو أبو هلال : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (١)

عالم كبير، وأديب شاعر، وفقيه محدث ، ولكن كان الغالب عليه الأدب والشعر، عاش معظم حياته في القرن الرابع الهجرى، بكل ما يذخر به هذا القرن من رقي وازدهار في جميع مجالات الحياة العلمية والثقافية والأدبية والنقدية، فظهر من النقاد في هذا القرن : ابن طباطبا العلوي (المتوفي سنة ٣٢٢هـ) في كتابه: عيار الشعر، وأبو حاتم الرازي (المتوفي بعد سنة ٣٢٢هـ) في كتابه: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، ومهلهل بن يموت (المتوفي بعد سنة ٣٣٤هـ) في كتابه : سرقات أبي نواس ، والصولي (المتوفي سنة ٣٣٥هـ) في

---

(١) انظر في ترجمته: دمية القصر:١/٥٠٦ – ٥١١ "بتحقيق التونجى" ومعجم الأدباء: ٨/٢٥٨ – ٢٦٧، وإنباه الرواة: ٤/١٨٩، وإشارة التعيين :٩٦، والوافي بالوفيات:١/٣٥ – ٣٦، ١٢/٧٨ – ٨١، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ٨٧، وبغية الوعاة: ١/٥٠٦ – ٥٠٧، وطبقات المفسرين للسيوطي: ٤٣-٤٤، وطبقات المفسرين للداودي :١/١٣٨-١٣٩، وكشف الظنون: ١٦٧،١٩٩،٢٣٣،٢٩٣،٤٥٣،٤٧٩،٦٠٦،٦٩١،٦٩٣،٨٠١،١٠٨٢،١٤٦٠، ١٤٦٨،١٥٤٨،١٨٢٣،١٩٨٠ وخزانة الأدب :١/٣٣٠-٣٣١، وروضات الجنات: ٢١٥، وهدية العارفين: ١/٢٧٣، وأعيان الشيعة: ٥/١٤٨-١٥٠، وتاريخ الأدب العربي (كارل بروكلمان): ٢/٢٥٢-٢٥٥ "طبع دار المعارف "١/٥٨٢، ٥٨٥" طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب "، والأعلام ٢/١٩٢، ومعجم المؤلفين:٣/٤٢٠ .

كتبه: أخبار أبي تمام ، وأخبار البحترى ، وأدب الكتاب، وشعر ابن المعتز، والأوراق بأجزائه الثلاثة، وقدامة بن جعفر (المتوفي سنة ٣٣٧هـ) في كتابه: نقد الشعر، وأبو القاسم الأصفهاني (المتوفي سنة ٣٥١هـ) في كتابه : الواضح في مشكلات شعر المتنبي ، وأبو الفرج الأصفهاني (المتوفي سنة ٣٥٦هـ) في كتبه: الأغاني، ومقاتل الطالبيين ، وأدب الغرباء، وأبو على القالي (المتوفي سنة ٣٥٦هـ) في كتابه : الأمالى ، والآمدي (المتوفي سنة ٣٧٠هـ) في كتابيه: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى ، والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، وأبو الحسن الشمشاطي (المتوفي بعد سنة ٣٧٧هـ) في كتابه : الأنوار ومحاسن الأشعار، وأبو أحمد العسكري (المتوفي سنة ٣٨٢هـ) في كتبه : المصون في الأدب ، وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، وتصحيفات المحدثين في غريب الحديث، والمرزباني (المتوفي سنة ٣٨٤هـ) ، في كتابه : الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، ومعجم الشعراء، والصاحب بن عباد (المتوفي سنة ٣٨٥هـ) في كتابه الكشف عن مساوئ المتنبي ، والحاتمي (المتوفي سنة ٣٨٨هـ) في كتبه: حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، والرسالة الحاتمية، والرسالة الموضحة ، وأبو الفرج المعافي بن زكريا النهروانى (المتوفي سنة ٣٩٠هـ) في كتابه: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، وابن جنى (المتوفي سنة ٣٩٢هـ) في كتبه : الخصائص ، وسر صناعة الأعراب، وتفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع ، والتمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري، والتنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة، والمبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة ، والفتح الوهبي على مشكلات المتنبي ، والفسر، وهو : شرح لديوان أبي الطيب المتنبي ، وابن وكيع التنيسى (المتوفي

سنة ٣٩٢هـ) في كتابه: المنصف ، وأبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني(المتوفي سنة ٣٩٣هـ) في كتابه : الوساطة بين المتنبي وخصومه، وأبو الحسين أحمد بن فارس (المتوفي سنة ٣٩٥هـ) في كتابه : ذم الخطأ في الشعر، والصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهما ٠٠٠ بالإضافة إلى كتب أبي هلال العسكري التي سيأتي الحديث عنها٠

هذا الجو العلمي أثر تأثيراً كبيراً في حياة أبي هلال العسكري وثقافته، حيث بلغ منزلة سامية بين علماء عصره، يظهر ذلك واضحاً من خلال مؤلفاته التي حظيت بقبول العلماء والنقاد، وساعد هذا على شهرتها وانتشارها بين الناس ، وعلى الرغم من شهرة مؤلفاته، فإننا لا نكاد نعرف شيئاً عن كثير من أطوار حياته ، فلم تحدثنا مصادر ترجمته عن بعض جوانب حياته الخاصة، ورحلاته في طلب العلم وتحصيله وتدريسه ، وذلك يرجع إلى بعض الأمور التي من أبرزها:

أن أبا هلال كان معنيًّا معظم وقته بتحصيل رزقه من عمله في تجارة الأقمشة، يقول الباخرزي (المتوفي سنة ٤٦٧هـ) : "بلغني أن هذا الفاضلَ كان يحضر السوق ، ويحمل إليها الوسوق، ويحلب دَرَّ الرزق ويمتري ، بأن يبيع الأمتعة ويشترى ٠ فانظر كيف يحدوا الكلام ويسوق، وتأمل هل غض من فضله السوق؟ وكان له في سوقة الفضلاء أسوة، أو كأنه استعار منهم لأشعاره كسوة"(١)

---

(١) دمية القصر : ٥٠٩/١ " بتحقيق التونجى"٠

ولا يخفي أن عملاً كهذا يضيع كثيراً من الوقت ، كما أنه لا يساعد على تحصيل العلم ومدارسته وحضور مجالسه ، لذا فإن أبا هلال كان كثيراً ما يتبرم من هذا العمل، الذي يدفعه إلى الجلوس وسط مجتمع لا يعرف للعلم قدره، ولا للعلماء منزلتهم ومكانتهم، يقول أبو هلال:

جُلُوسِيَ في سُوقٍ أبيعُ وأشترى   دليلٌ على أن الأنام قُرودُ
ولا خير في قوم يَذِلُّ كرامُهُم   ويعظُمُ فيهم نَذْلهم ويسُودُ
ويهجوهُمُ عَنِّى رثاثةُ كسْوتى   هِجاءً قبيحاً ما عليه مَزيدُ (١)

ولكن قسوة الحياة وتنكرها له لم تجعله يتخلى عن مبادئه وأخلاقه، فلم يتملق حاكما ، ولم نعرف عنه حباً للمال أو الجاه ، وإنما نجد فيه شغفاً بالعلم، وحرصاً عليه، ولذة في تحصيله، فرتل في حبه أروع الآيات، وأنار بفكره أوعر الدروب، فأخرج لنا بياناً ساحراً، يداعب العقول فيملؤها علماً ونوراً وحكمة٠

وكان من أسباب عدم شهرته - أيضاً - أنه كان عزيز النفس يترفع عن الدنايا على الرغم من ضيق حاله ، وقد دفعه هذا إلى الابتعاد عن أصحاب الجاه والنفوذ ومواطن الشهرة ، يضاف إلى ذلك أنه قضي معظم حياته في موطنه الأصلي "عسكر مكرم " ، ولم يرتحل كثيراً في طلب العلم ومدارسته وروايته في الربوع والبلدان ٠

٣ـ نسبته وموطنه:

نشأ أبو هلال العسكري في "عَسْكَرِ مُكْرَمِ " قرية من قرى الأهواز، وإليها

---

(١) المصدر السابق الصفحة ذاتها٠

ترجع نسبته ، يقول البلاذري (المتوفي سنة ٢٧٩هـ) في سبب تسميتها: أن "مُطَرِّفَ بن سيدان الباهلى " كان رئيسا على شرطة " مصعب بن الزبير "في البصرة، فأُتي إلى " مطرف" برجلين قد قطعا الطريق ، هما: النابئ بن زياد بن ظبيان" و" رجل من بني نمير "فقتل "مطرف" النابئ " وضرب " النميرى" بالسياط ثم تركه، فخرج " عبيد الله بن زياد بن ظبيان" في جمع يطلب الثأر من "مطرف" بعد أن عزله " مصعب" عن شرطته وولاه الأهواز ، فتمكن" عبيد الله " من قتل "مطرف " ، فبعث " مصعب" مكرم بن مطرف" في طلب " عبيد الله بن ظبيان" فسار " مكرم" حتى بلغ " عسكر مكرم" فلم يلق " ابن ظبيان" الذي لحق" بعبد الملك بن مروان" في الشام ، وقاتل معه "مصعبا" فقتله واحتز، رأسه فلما قتل "مصعب " دعا عبد الملك بن مروان أهل العراق إلى البيعة فبايعوه، فنسب "عسكر مكرم" إلى " مكرم بن مطرف" هذا.(١)

ويقال - أيضا -: إن : "عسكر مكرم" إنما نسب إلى " مكرم بن الفزر" أحد بني جعونة بن الحارث بن نمير، وكان الحجاج وجهه لمحاربة " خرزاد بن باس" حين عصى، فظفر به مكرم ، وبعث به إلى الحجاج فضرب عنقه.

وذكروا: أنه كانت عند " عسكر مكرم" قرية قديمة وصل بها البناء بعد ، ثم لم يزل يزاد فيه حتى كثر، فسمى ذلك أجمع : "عسكر مكرم" (٢) وفي النسبة

---

(١) انظر في ذلك:فتوح البلدان:٣٧٥،٣٧٦ وتاريخ الطبري:١٥٩/٦-١٦٠ بتصرف .

(٢) فتوح البلدان : ٣٧٦ .

إلى " العسكرى" يقول السمعانى (المتوفي سنة ٥٦٢ هـ) : هذه النسبة إلى مواضع وأشياء، فأشهرها إلى " عسكر مكرم" وهي بلدة في " كور الأهواز" يقال لها بالعجيمة : لشكر ، و"مكرم" الذي ينسب إليه البلد هو "مكرم الباهلي" وهو أول من اختطها من العرب ، فنسبت البلدة إليه "٠ (١)

٣ـ مولده ووفاته :

أحاط الغموض بتاريخ مولد أبي هلال العسكري ، كما حدث خلاف كبير بين العلماء في تحديد تاريخ وفاته ، ويعد الباخرزي (المتوفي سنة ٤٦٧هـ) أول من ترجم لأبي هلال ، ولكنه لم يشر إلى تاريخ مولده أو وفاته ، وترجم له بعد ذلك ياقوت الحموى (المتوفي سنة ٦٢٦هـ) فقال: "وأما وفاته فلم يبلغني فيها شئ ، غير أني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه: وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء، لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة "(٢)

ونقل قول ياقوت السابق بعض العلماء ، منهم : الصفدي(٣) والسيوطي(٤)، والداودي (٥) ، وعبد القادر البغدادي (٦) ولكنهم لم يعلقوا عليه، بل فسره بعض العلماء على أنه تاريخ وفاة أبي هلال ، كالحاج خليفة(٧) وإسماعيل البغدادي(٨)

---

(١)الأنساب :٨/٤٥٢-٤٥٣ ٠ (٢) معجم الأدباء:٨/٢٦٤ ٠

(٣)الوافي بالوفيات : ١٢/٧٩ ٠(٤) بغية الوعاة : ١/٥٠٧ ٠

(٥)طبقات المفسرين : ١/١٣٨ -١٣٩ ٠

(٦)خزانة الأدب :١/٢١٣ ٠

(٧)كشف الظنون : في مواضع متعددة ٠

(٨)هدية العارفين :١/٢٧٣ ٠

كما أشار : عبد الباقي اليماني(١) والفيروزآبادي ، إلى أنه " توفي في حدود الأربعمائة " (٢)

وكذلك القفطي يذهب إلى أنه : "عاش بعد سنة أربعمائة" (٣) ويوافقه السيوطي في هذا الرأي ، فيقول : "مات بعد الأربعمائة "(٤)

وهذا الخلاف يوضح مدي الغموض الذي أحاط بتاريخ مولده ووفاته، وإن كان الأفضل أن نقول : "توفي بعد سنة ٣٩٥هـ".

٤ـ آثاره :

لأبي هلال العسكري كثير من المؤلفات في شتي العلوم والمعارف، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط لم يزل، ومنها ما هو مفقود لا نعرف عنه شيئا إلا من خلال ذكر اسمه في مصادر التراجم المختلفة ، وهذه المؤلفات هي: أعلام المعاني في معاني الشعر ، والأوائل ، والتبصرة ، والتفضيل بين بلاغتي العرب والعجم ، والتلخيص في معرفة أسماء الأشياء ، وجمهرة الأمثال ، والحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، والحماسة العسكرية ، والدرهم والدينار ، وديوان المعاني ، وديوان أبي هلال العسكري، وذم الكبر ، ورسائل أبي هلال العسكري،والرسالة الحكمية، وسوف نفردها بحديث خاص،ورسالة في الأدبيات، والرسالة الماسة فيما لم يضبط من الحماسة،وشرح الحماسة، وشرح ديوان

---

(١) إشارة التعيين :٩٦ .   (٢) البلغة : ٨٧ .

(٣) إنباه الرواة : ١٨٩/٤ .   (٤) طبقات المفسرين : ٤٤ .

أبى محجن الثقفي ، وشرح الفصيح، والعزلة والاستئناس بـــالوحدة ، والعمـــدة، والفروق في اللغة، وفضل العطاء على العسر، وكتـــاب الصنـــاعتين - الكتابـــة والشعر - وما تلحن فيه الخاصة، والمحاسن في تفسير القرآن ، ومحاسن النـــثر والنظم من الكتابة والشعر، ومدح العدل وذم الظلم ، والمعجم في بقية الأشـــياء، والمعرب عن المغرب، ومن احتكم من الخلفاء إلى القضـــاة، ونـــوادر الواحـــد والجمع، والوتر ، والوجوه والنظائر(١) ٠

٥ ــ التعريف بالرسالة ودراسة مادتها:

الرسالة الحكمية إحدى الرسائل الأدبية لأبي هلال العسكري ، كتبها إلى بعض الرؤساء، وأراد من خلالها أن يهدي باقة من الحكـــم والمواعـــظ إلـــى هـــؤلاء الرؤساء ليهتدوا بها فيما يقومون به من أعمال ، ولم يقصد أبو هلال حاكما بعينه وإنما أراد رمز الحاكم في كل زمان وفي أي مكان ٠

وقد عثرت على نسخة فريدة لهذه الرسالة في دار الكتب المصريـــة، وهـــي مودعة بها تحت رقم: ٤٣٨٢ أدب طلعت ميكروفيلم : ٣٣٨٠٠، وهي تقع فـــي أربع عشرة ورقة، وبعد فحص هذه النسخة تبين أن بها ثلاثة خروم لا أعـــرف مقدار كل خرم منها، ولكنه لا يتجاوز الورقة الواحدة على أرجح تقدير، كمـــا أن هناك بعض الأوراق الموضوعة في غير أماكنها، ولكني بفضل الله ومنِّه تمكنت

---

(١) للتعرف بالتفصيل على مؤلفات " أبي هلال العسكري " انظر مقدمة تحقيق رسالة : مدح العدل وذم الظلم لأبي هلال ، تحقيق ودراسة الدكتور: يوسف محمد فتحي عبد الوهاب ، مجلة كليـــة اللغـــة العربية بالمنوفية ، العدد الثامن عشر سنة ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م من ص ٧٧٧ إلى ص ٩١١ ٠

من إعادة ترتيبها، وذلك من خلال سياق أسلوب الحكم في هذه الرسالة التي أسأل المولى - سبحانه - أن يوفق في العثور على نسخة مخطوطة كاملة منها ٠

وتجب الإشارة هنا إلى أن الرسالة لم يرد لها ذكر في كتب التراجم التي ترجمت لأبي هلال العسكري ، ولكن أسلوبها يؤكد نسبتها إليه ، يضاف إلى ذلك وجود اسمه على الغلاف والصفحة الأولى منها بالخط الذي كتبت به الرسالة ، ولعل في هذا ما يؤكد نسبتها إليه ٠

والخروم الثلاثة التي ظهرت في المخطوطة تقع بعد هذه الأوراق :٥ - أ ، ٧- أ ، ٩ - أ من الترتيب النهائي الذي توصلت إليه لهذه الرسالة ، كما أن الأخطاء التي حدثت في ترتيب الأوراق يوضحها الجدول التالي الذي يدل القسم العلوي منه على الترتيب الذي توصلت إليه ، والقسم السفلي يدل على الترتيب المضطرب في أصل المخطوطة، وتنحصر هذه الأخطاء بين الأوراق : "٦"، "٩" وبيانها يتضح من خلال هذا الجدول :

الترتيب الذي توصلت إليه	٦- أ	٦-ب	٧-أ	٧-ب	٨-أ	٨-ب	٩-أ	٩-ب
الترتيب المضطرب في المخطوطة	٦-أ	٧-ب	٨-أ	٨-ب	٩-أ	٦-ب	٧-أ	٩-ب

وقد ضمّن أبو هلال العسكري رسالته هذه باقة من الحكم والمواعظ ، وهو وإن كان قد وجهها إلى أحد الرؤساء - كما هو واضح من مطلعها - إلا أن هذه الحكم والمواعظ تصلح لكل إنسان ، وقد حَضَّنا الإسلام على اغتنام الحكمة إذا وقعت إلينا من أي سبيل ، لما لها من أثر كبير في حياة الفرد، ويعود ذلك بالخير على كل جوانب المجتمع ، يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " الكلمة الحكمة ضالّةُ المؤمن ، فحيثما وجدها فهو أحقُّ بها"٠ (١)

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه:٥/٤٩ حديث رقم: ٢٦٨٧ كتاب العلم(٤٢) باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة(١٩)، وابن ماجه:٢/١٣٩٥ حديث رقم :٤١٦٨ كتاب الزهد(٣٧) باب الحكمة(١٥)٠

والحكمة يتعدد مفهومها بتعدد السياقات التي ترد فيها، فنجد من معانيها: القرآن الكريم، والإنجيل، والنبوة ، والسنة المطهرة، والعدل ، والعلم النافع ، والفقه ، والمواعظ ، والقول الصادق ، ووضع الشئ في موضعه ، والكلام النافع الذي يمنع من السفه ويدعو إلى الحلم ، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ٠٠٠ إلى غير ذلك من المعاني٠

وفي القرآن الكريم كثير من هذه المعاني ، من ذلك على سبيل المثال ما يظهر في قوله تعالى : " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة " (١) ، ومعني الحكمة هنا: الكتاب والسنة، وقوله تعالى : " فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة" (٢)، ومعني الحكمة هنا: النبوة ، وقوله تعالى : " لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة " (٣) ومعني الحكمة هنا : السنة المطهرة، وقوله تعالى : " يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا " (٤) ، ومعنى الحكمة هنا : الكلام القائم على العلم النافع ، والموجه إلى الصواب والسداد في القول والعمل، وقوله تعالى: "واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شئ عليم " (٥) ، ومعني الحكمة هنا: مواعظ القرآن الكريم، وقوله تعالى: " ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد" (٦) ، ومعني الحكمة هنا: الفهم والعلم،

---

(١) سورة النحل:١٢٥ ٠ (٢) سورة النساء : ٥٤ ٠

(٣)سورة آل عمران : ١٦٤ وينظر أيضا سورة النساء :١١٣ ، وسورة الجمعة :٢

(٤)سورة البقرة : ٢٦٩ ٠

(٥) سورة البقرة : ٢٣١ ٠

(٦) سورة لقمان : ١٢ ٠

وبذلك ندرك أن الحكمة ترد في معان كثيرة بحسب السياقات والمقامات التي ترد فيها ٠

وقد تعدد تعريف الحكمة لدي العلماء بصورة واضحة، من ذلك قولهم الحكمة هي : "الرأي السديد الذي يسلك بصاحبه المسلك الصائب، وهي بـــهذا المفـــهوم أسبق من الفلسفة والدين ، لأنها الدراية بأمور الحياة وما بعدها " ٠ (١)

كما عرف بعض العلماء الحكمة بأنها مرادفة للفلسفة ، حيث تبحث الحكمـــة عندهم في : " الله " ، و"العالم " و "الإنسان " ، يقول الجرجاني في تعريفها : "علم يُبْحث فيه عن الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية"٠(٢)

وعرفها بعضهم بأنها التكاليف الشـــرعية، فقالوا عنها هي: "معرفـــة الحـــق لذاته ، والخير لأجل العمل به ، وهو التكاليف الشرعية" ٠ (٣)

وعرفها بعضهم - أيضاً - بمعني العدالة ، فقالوا هي : "هيئة للقـــوة العقليـــة العلمية بين الإفراط الذي تكون به الأفعال مكراً وحيلة ، وبيـــن التفريـــط وهـــو البلاهة والحمق ، وهي بهذا المعني أحد أجزاء العدالة المقابلة للجور"٠ (٤)

ولا يخفي أن الحكمة تتميز بقلة الألفاظ ، وغزارة المعاني، وأنها من جوامـــع الكلم، وتظهر من خلالها ثقافات الشعوب وطرائق تفكيرها ومظاهر حياتها، وهي ترد في صور نثرية محكمة ، كما ترد في صور شعرية، وهذا مشهور في تراثنا

(١) المعجم الفلسفي :١٠٣ (٢) التعريفات : ٩١ ٠

(٣) المعجم الفلسفي :١٠٣ ٠

(٤) المرجع السابق الصفحة ذاتها٠

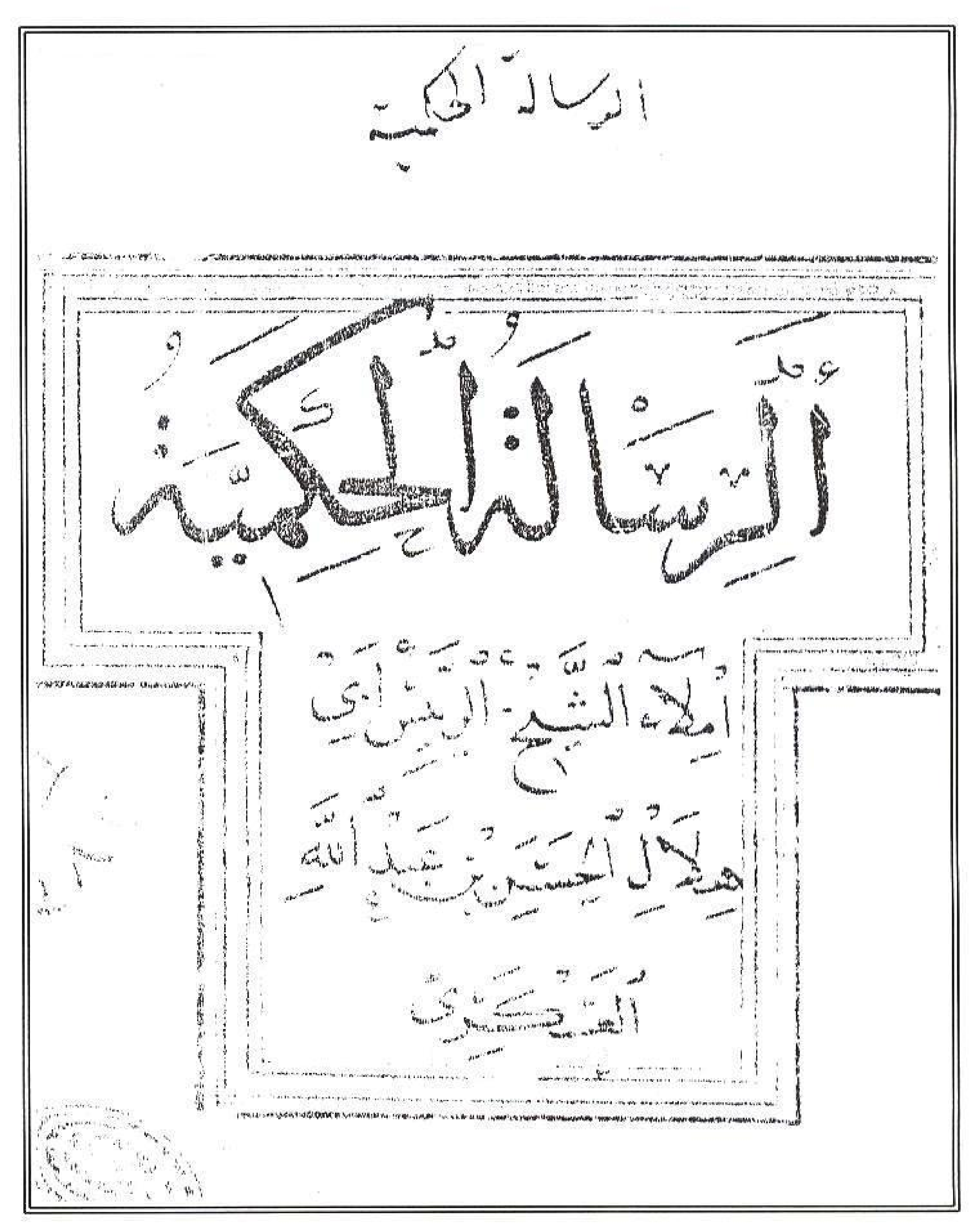
الإبداعي منذ أقدم العصور ، حيث كان الشعراء يبثون المواعظ والحكم في قصائدهم ، مما يساعد على شهرة هذه القصائد وسريانها بين الناس ٠

وقد أدرك أبو هلال العسكري مكانة الحكمة، وأثرها في حياة الإنسان ، فكتب هذه " الرسالة الحِكَمِيَّةَ " وقال في صدرها : " وهي فِقَرٌ أنشأتُها وفصولٌ ابتدأتُها، مشتملةٌ على حكم بارعةٍ ، وآداب نافعة ، لها في المعاني إطناب ، وفي الألفاظ إيجاز ، أسأل الله الانتفاع بها ، والعَوْن على أداء حقِّه في الاهتداء إليها "(١)

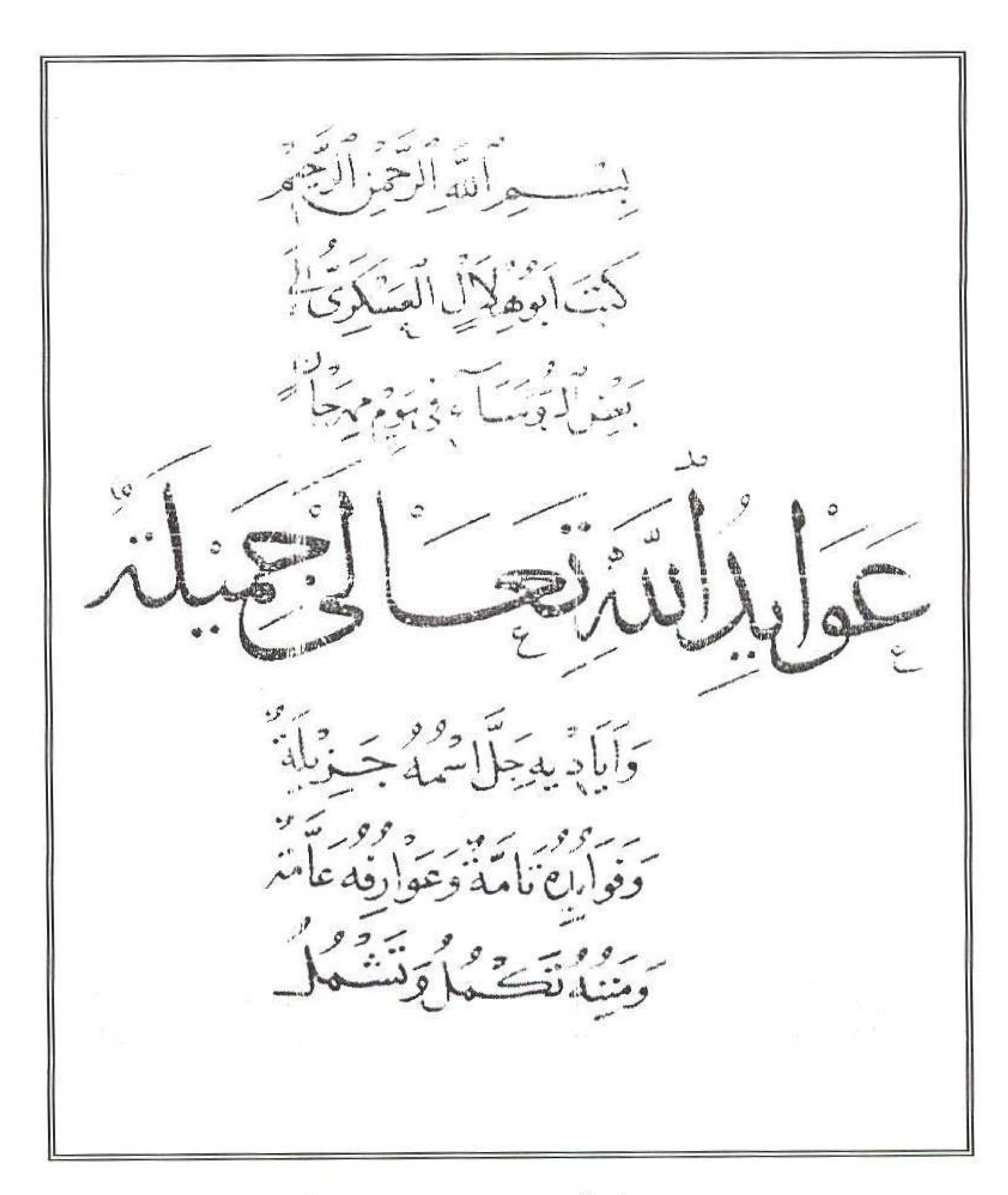
وهي رسالة نفيسة لعالم كبير، نسأل المولي سبحانه وتعالي أن ينفع الأمة بما فيها من حكم وآداب ، وأن يجزى مؤلفها ومحققها وكل من ساعد على نشرها خير الجزاء٠

---

(١) انظر الفقرة رقم : ٤ من هذه الرسالة ٠



" غلاف مخطوطة الرسالة"



بسم الله الرحمن الرحيم

كتب أبو هلال العسكري إلى

بعض الرؤساء في يوم مهرجان

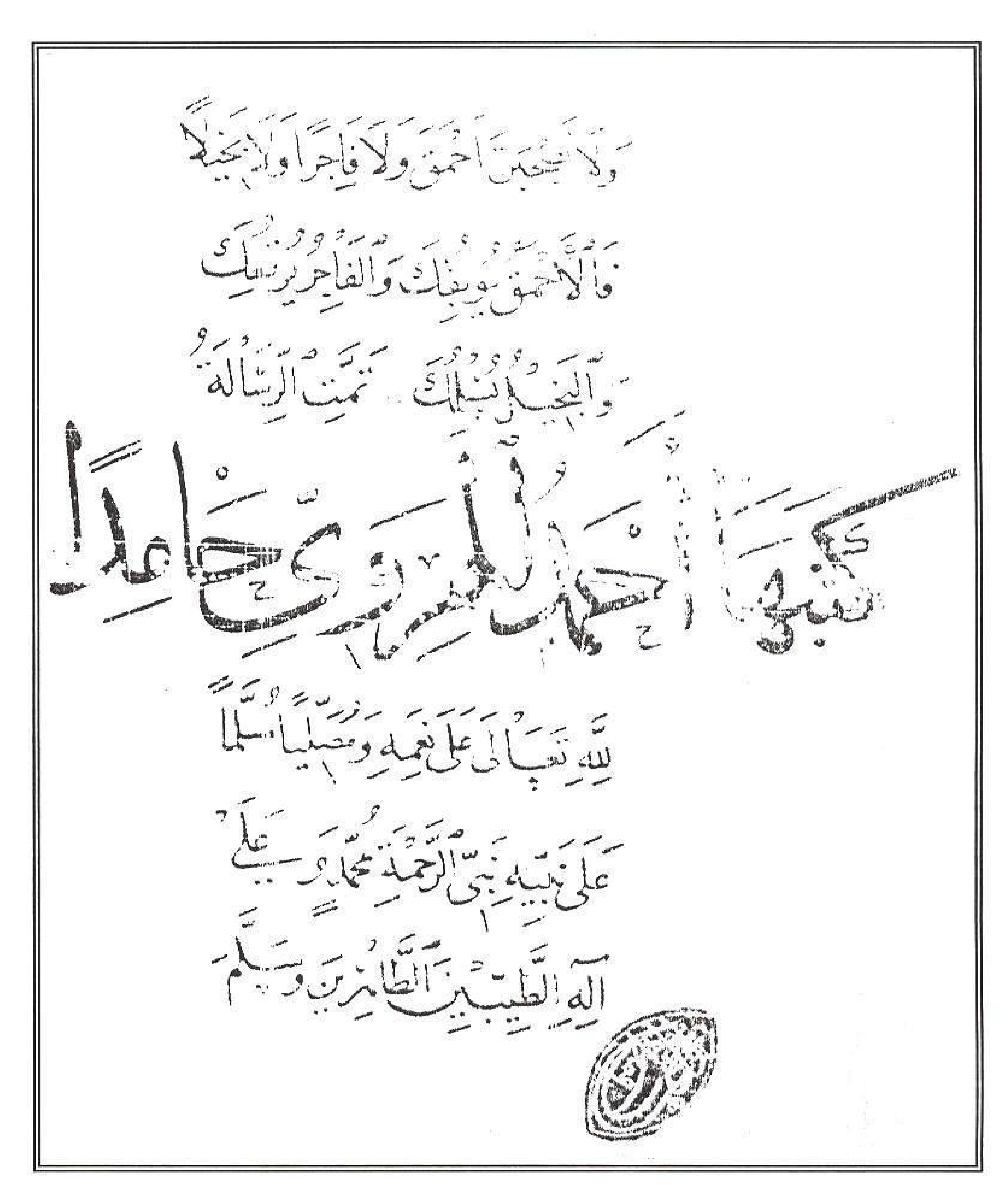
عوائد الله تعالى الجميلة

وأياديه جل اسمه جزيلة

وفوائده تامة وعوارفه عامة

ومننه تكمل وتشمل

" الصفحة الأولى من مخطوط الرسالة "



ولا تصحبن أحمق ولا فاجراً ولا بخيلاً

فالأحمق يوبقك والفاجر يزينك

والبخيل يبتك تمت الرسالة

كتبها أحقر الورى حامداً

لله تعالى على نعمه ومصلياً مسلماً

على نبيه نبي الرحمة محمد صلى

آله الطيبين الطاهرين وسلم

" الصفحة الأخيرة من مخطوط الرسالة "

الرسالة الحكمية

تأليف

أبى هلال : الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري

المتوفى بعد سنة ٣٩٥هـ

تحقيق ودراسة

الدكتور

يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

مدرس الأدب والنقد بالكلية

القسم الثاني : نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ـ كتب [الشيخ] أبو هلال العسكريٌّ إلى بعض الرُّؤساء في يوم "مِهْرَجَانٍ"(١):

٢ـ عوائدُ اللهِ - تعالى(٢) - جميلةٌ ، وأياديه - جل اسمه - جزيلةٌ ، وفوائده تامَّةٌ ، وعَوَارِفُهُ(٣) عامة، ومِنَنُهُ تكمُلُ وتَشْمُلُ [٢ ـ أ] ونعمه تغمُرُ ولاتقصُرُ .

٣ـ ومن أشرفها قَدْراً ، وأفخمها أمراً ،وأسْيَرِها ذكراً ، وأَنْفَعِها ذُخْراً، وأمدِّها في منال الشُّكْرِ باعاً ، وأطولها إلى غايات المجد ذراعاً، ما وهبه الله - تعالى - [٢ـ ب] للأَجْنَبِ الغَرِيبِ(٤) ، وقَيَّضَهُ للأَدْنَى القَرِيبِ(٥)، من حُسْنِ رأي الأستاذ ، أطال اللهُ بقاءَهُ ، وصرف الأَسْوَاءَ عن حَوْزَتِهِ، وقصر أيدي الغير دون نعمته، وعَمَرَ بِقَاعَ المَجْدِ بمكانه ، وحرس رِبَاعَ العِزِّ(٦) بسلطانه، وأسعده بالفَصْلِ الحميد(٧) واليوم [٣ـ أ] الجَدِيدِ سعادةً يتَّصِلُ حَبْلُها، ويجتمعُ شملها، وتتوفَّرُ خيراتُها، وتتضاعف بركاتُها ، ماكرَّ الجَدِيْدَانِ (٨) ، وتعاقبَ النَّيِّرانِ،(٩) إنَّهُ سميعُ الدُّعَاءِ ، لطيفُ لما يشاءُ .

---

(١)المهرجان في الأصل: احتفال الاعتدال الخريفي ، والاحتفال يقام ابتهاجاً بحادث سعيد، أو إحياءً لذكري عزيزة ، والكلمة مركبة من : "مهر"، و"جان" . ومعناها: محبة الروح. والمراد بيوم المهرجان هنا: يوم العيد .

(٢)عوائد الله تعالى : عطاياه. (٣)العوارف: جمع عارفة، وهي: الإحسان .

(٤)الأجنب الغريب: البعيد في الغربة. (٥) قيضه للأدنى: قدَّره له، وهيأه إليه.

(٦)الرِّباعُ: جمع الرَّبْع، ويطلق على: الموضع يُنْزَلُ فيه زمن الرَّبيع، كما يطلق على: الدار وما حول الدار والحي، ورباع العز: منازله.

(٧)الفصل:الحكم بين الخصمين، والفصل الحميد: الحكم الحميد، والمراد هنا: القضاء بين الناس بالعدل. (٨) الجديدان : الليل والنهار .

(٩)النَّيِّران : الشمس والقمر.

٤ـ أفضل الأَعْلاقِ (١) أبقاها على [٣ـ ب] صُروف الزَّمـــان(٢) ، وأسـلمُها على كُرُورِ الحَدَثَانِ (٣)، وهو الثناء الذي لا يَجِلُّ أحد عنه، وإن جَلَّ قـدرُهُ ، وفَخُمَ أمره ، وعلت منزلته ، وشرُفَتْ مرتبته ، فهو : كُـفْءُ النِّعْمَـةِ(٤) ، وقيمَةُ العَارفَةِ(٥)، وقد أهديت منه لقضاء حَقٍّ [٤ـ أ] هذا اليـوم ، مـا يكونُ جلاءً للحسَبِ ، ورتبة للأدب ، وحُلِيًّا للفخر(٦) ، وغرةً في جبيـن الدَّهْرِ (٧) ، وهي فِقَرٌ أنشأتُها ، وفصول ابتدأتُها، مشـتملةٌ علـى حِكَـمٍ بارعة وآداب نافعة ، لها في المعاني إطناب ، وفي الأَلفاظِ إيجازٌ ، أسـألُ [٤ ـ ب] اللهَ الانتفاعَ بها، والعَوْنَ على أداءِ حَقِّهِ في الاهتداءِ إليها٠

٥ ـ فقلتُ : خير الإخوان ، من يَزِينُ مَشْهَدُهُ ، ويُؤمن مَغِيبُهُ ٠

٦ـ أيام القطيعة بِيَدِ العِتَابِ ٠

٧ـ إقبال الدُّنيا عناء، وإدبارُها بلاء٠

٨ ـ [٥ ـ أ] ٠٠٠٠(٨) الاستخارة قائد التَّوفيق ٠

٩ـ الأمانة رأس المال الأكبر ٠

١٠ـ ارتفاع اللئيم فضيحة كارتفاع المصلوب ٠

---

(١)الأعلاق : النفائس من كل شئ ؛ لأنها يتعلق بها القلب، ومفرد الأعلاق: عِلْق ٠

(٢)صروف الزمان : نوائبه وحِدْثانه٠(٣)حدثان الدهر وحوادثه : نوبه وما يحدث منه ٠

(٤)كفء النعمة: عِدْلها ومثيلها٠ (٥) العارفة: الإحسان، وجمع العارفة: عوارف٠

(٦)الحلى: ما تتزين به المرأة وغيرها، وحلى للفخر: زينة له٠

(٧)الغرة: أول كل شئ وأكرمه، والجمع :غرر، وغرة في جببن الدهر: شرف وكرامة٠

(٨) موضع الخرم الأول في النسخة المخطوطة للرسالة، وقد كُتِبَتْ هذه الحكمة في الأصـل: "والاستخارة ٠٠٠٠" ، بما يوحى بالعطف على كلام سابق ٠

١١ـ التوفيق عماد الرأي ، والرأي عماد الشجاعة .

١٢ـ كلام الرجل صَفِيحَةُ عقله . (١)

١٣ـ الحرص مَدْرَجَةُ التَّعب (٢)، ومطيَّةُ [٥ ـ ب] الذلة.

١٤ـ الندامة قرين اللِّجَاجِ

١٥ـ الشهوات بلايا النُّفوس .

١٦ـ مصارع العُقُول تحت ظلال الهوى .

١٧ـ الطَّمَعُ آفة الحرية.

١٨ـ العُجْبُ آفة المروءة .

١٩ـ شهوة ترجع بالعَيْب وبالنُّقصان شِقْوَةُ (٣).

٢٠ـ أملك الناس لنفسه: من كظم غَيْظَهُ [٦ـ أ] وأسعدُهُمْ في الدنيا والآخرة : من جعل زمام هواه في يد عقله، وأضبطهم لأمره : من كتم فقره.(٤)

٢١ـ الدِّين أقرب الأنساب .

٢٢ـ لا خير في رأي بلا عزيمة.

٢٣ـ لا خير في قول بغير فعل .

٢٤ـ لا خير في [٦ـ ب] نِيَّةٍ إلا مع العمل .

٢٥ـ جالس حُرًّا أو دع .

---

(١) صفيحة عقله : أصله وجوهره . (٢) مدرجة التعب : طريقه .

(٣)الشِّقْوَةُ : الشقاء ، وفي التنزيل العزيز : (رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا)[سورة المؤمنون : ١٠٦] .

(٤)يوجد بالأصل المخطوط خلط واضطراب بين أسطر هذه الحكمة ، والحكمة التي تليها.

٢٦ـ مخالطة اللِّئام لؤم أو جهل ٠

٢٧ـ المُسَاكَتَةُ(١) مَجْلَبَةُ للعِيِّ ٠

٢٨ـ الكذب آفَةُ المروءة ٠

٢٩ـ الأدب جِلاَءٌ للحَسَبِ ٠

٣٠ـ العقل يَنْبُوعُ المحاسن ٠

٣١ـ ظلم من لا يَقْدِرُ على الانتصار لُؤْمٌ ٠

٣٢ـ الغضب [٧ـ أ] ٠٠٠٠(٢) المزيد٠

٣٣ـ الشكرُ يَبْسُطُ يَدَ النِّعْمَةِ ٠

٣٤ـ عند الكَمَالِ حلول الزَّوال ٠

٣٥ـ أعقلُ الناس أعرفُهُمْ بقدر نَفْسِهِ ، وأسعدُهُمْ أقومهم بطاعة رَبِّهِ ٠

٣٦ـ الحَلِيمُ(٣) عزيز في لباس ذليل ٠

٣٧ـ لا لذَّةَ مع تذكُّرِ الموت ٠

٣٨ـ الدُّنيا دار مَنْ لا دار له ٠

٣٩ـ لا بقاء [٧ ـ ب] على النُّقصان ٠

٤٠ـ العلم أفضل من المال ؛ لأنَّ المال يُكْتَسَبُ بالعلم ، والعلم لا يُشْتَرَى بالمال٠

٤١ـ المال جَمَالٌ ، والعلم كمال ٠

٤٢ـ الموت خير من الفقر ، والفقر خير من الجهل ٠

٤٣ـ القناعة غِنَى المُعْسِرِ ، والشَّرَهُ فقر المُوسِرِ٠

٤٤ـ الفَوْتُ مع الحزم أَحْمَدُ من الإدراك [٨ ـ أ] مع العجز ٠

---

(١) المساكتة : مداومة السكوت ٠

(٢) موضع الخرم الثاني في النسخة المخطوطة للرسالة ٠

(٣) **في الأصل : " الحلم " ٠**

٤٥ـ ذكاء الفرع من طِيْبِ الأصل ٠

٤٦ـ الدَّهر يحكم لك ، ثم يحكم عليك ٠

٤٧ـ أنفع المعرفة معرفة الرجل بنفسه ٠

٤٨ـ شَرُّ العمي عمى القلب ٠

٤٩ـ البَطَرُ آفَةُ النِّعْمَةِ٠ (١)

٥٠ـ مَنْ عَظُمَتْ همَّتُهُ كَثُرَ تعبه ٠

٥١ـ من صان نفسه قَمَعَ عدوَّهُ ٠

٥٢ـ [٨ ـ ب] التَّذَلُّلُ عند الحاجة كَيْسٌ !!!

٥٣ـ الدَّالَّةُ على السُّلطان (٢) حُمْقٌ ٠

٥٤ـ الخُمُولُ دَفْنُ الحَيِّ ٠

٥٥ ـ الغني قَبْرُ العَيْبِ ٠

٥٦ـ أحقُّ ما لا يُضَيَّعُ : النفسُ ؛ لأنَّهُ لا خَلَفَ لها ٠ (٣)

٥٧ ـ عصيان النَّصيحِ من دلائل الخُذْلان ٠

٥٨ ـ الاستشارة مُستَدَرُّ الصَّوَابِ ٠

٥٩ـ [٩ ـ أ]٠٠٠٠(٤) [من نال] (٥) ما لـــم يُـــــرْجَ لمثلـــه حســـده الصديق٠

---

(١) بَطَرُ النعمة : كفرها والاستخفاف بها ٠

(٢) الدالة على السلطان : الجُرْأةُ عليه ٠

(٣) لاخَلَفَ لها: لا عوض لها ولا بدل٠

(٤) موضع الخرم الثالث والأخير في النسخة المخطوطة للرسالة ٠

(٥) زيادة يقتضيها السياق ٠

٦٠ــ من جَرَّبَ المُجَرَّبَ ضَيَّعَ زمانَهُ .

٦١ــ رَدُّك عُذْرَ من لا تتَّهم مودَّتَهُ ظُلْمٌ .

٦٢ــ الخمول أَصلَحُ للجاهل من النَّبَاهَةِ ؛ لأن الخمولَ يستُرُ معايبــه، والنباهَــة تُبَيِّنُ مثالبَهُ .

٦٣ــ أحزَمُ الناس : أنظرُهُمْ في العواقب .

٦٤ــ [٩ــ ب] لا ينفعُكَ المال حتى يُفَارقَكَ .

٦٥ ــ حفظُ المال إمساكُهُ ، وحفظ العلم تبذيرُهُ .

٦٦ــ العلم والراحة ضَرَّتَانِ لا تجتمعان .

٦٧ــ الكسل والفقر في قَرَنٍ .

٦٨ــ المنُّ يسوِّدُ وجه المِنَّةِ .

٦٩ــ الوعد رِقٌّ ، والإنجاز عِتْقٌ .

٧٠ــ الكفر يَغْلِقُ بابَ [١٠ــ أ] الإيمان .

٧١ــ المطبوع يُحْسِــــنُ العمل وهــــو مُسْتَرِيحٌ ، والمتكلِّــفُ يُفْسِــدُهُ وهــو مَكْدُودٌ (١).

٧٢ــ التَّغافُلُ كَرَمٌ .

٧٣ــ أعقلُ الناس أتركُهُمْ للفُضُولِ(٢).

٧٤ــ الاعتذار شفيعُ المُذْنِبِ .

٧٥ ــ العَجَلَةُ جِسْرُ الخطَاءِ .

٧٦ــ [١٠ــ ب] كثرةُ الضَّحِكِ سُخْفٌ ، والضَّحِكُ من غير عَجَبٍ حُمْقٌ .

---

(١) وهو مكدود: وهو ملح في محاولة الشئ ، ولكنه متعب مغلوب .

(٢) الفضول : ما لا فائدة فيه، والفضولي من الرجال : المشتغل بالفضول، أي الأمور التــي لا تعنيه .

٧٧ــ لا يَعْدِلُ السَّلامَةَ نِعْمَةٌ ٠
٧٨ ــ كتمانُ ما استُكْتِمْتَهُ بِرٌّ ٠
٧٩ــ السُّكوتُ زَيْنُ الجَهُول ٠
٨٠ ــ الاستعدادُ لِغَدٍ أكبرُ أقسام الحَزْمِ ٠
٨١ ــ خير القَوْلِ ما يُسْمَعُ ، وخير العلم [١١ــ أ] ما يَنْفَعُ ٠
٨٢ ــ ما كلُّ طالب يَجِدُ ٠
٨٣ــ الفضل يَنِمُّ على نفسه وإن كُتِمَ ، كالمِسْكِ يفوح نَشْرُهُ وإن أُخْفِيَ ٠
٨٤ ــ لِيْنُ الكلمة يُوجِبُ المَحَبَّةَ، والبِشْرُ(١) الحسن يُقَوِّى الرَّغْبَةَ ٠
٨٥ ــ غَمُّ الحاسد بسرورك قد انتَقَمَ لك منه ٠
٨٦ ــ الانقياد [١١ــ ب] للشهوة يُدَنِّسُ العِرْضَ ، ويَحُلُّ عُقْدَةَ المُروءَةِ ، وينقصُ مِرَّةَ الدِّيْنِ ٠(٢)
٨٧ ــ أسلم الناس أَسْوَؤهُمْ ظَنًّا بالدُّنيا وأَهْلِهَا٠
٨٨ ــ إيَّاكَ ومصاحَبَةَ المتلوِّنِ ، فإنَّكَ لا تَثِقُ (٣) منه بأمر إلا أحضَرَكَ خلافَهُ ، فلا تزالُ معه في الاختلاط ٠
٨٩ ــ القناعة [١٢ــ أ] طَرَفٌ من العجز(٤) ٠
٩٠ ــ مَنْ وجَدَ فَقَدَ ٠
٩١ــ إذا طاب العَيْشُ قَصُرَ ٠
٩٢ ــ إذا جَرَّبَ المرءُ بَصُرَ ٠

---

(١) البشر : طلاقة الوجه ٠
(٢) مِرَّةُ الدين : أصالته وإحكامه وقوته ٠
(٣) في الأصل المخطوط : " لا يثق "٠
(٤) طَرَفُ من العجز : جانب منه ٠

٩٣ــ التَّجْرِبَةُ تَنْفَعُ (١) مع العقل ، كالضّيَاء ينفع مع صِحَّةِ البَصَرِ ٠

٩٤ــ العلوم قَيِّمُ (٢) النُّفُوسِ ٠

٩٥ ــ الحرص والذِّلَّةُ قَرِيْنَانِ ٠

٩٦ــ فاحشة النِّسَاءِ عارٌ [١٢ــ ب] لا يُغْسَلُ ، وذنبٌ لا يَحْسُنُ الاعتِذَارُ مِنْهُ ٠

٩٧ ــ من أحْسَنَ إليك فَقَدْ بدأ بنفسه ، وكذلك من أساء ٠

٩٨ ــ الناس بين سَيِّدٍ ومَسُودٍ ، فالسَّيِّدُ : مَكْدُودٌ (٣)، والمسودُ : ذَلِيلٌ ٠

٩٩ــ المكروه منوطٌ بكُلِّ أَحَدٍ٠ (٤)

١٠٠ــ قليل النَّيْلِ خَيْرٌ من حِرْمَانِهِ ٠

١٠١ــ [١٣ــ أ] علامةُ البُخْلِ والعِيِّ : شِدَّةُ الحِجَابِ٠

١٠٢ــ كلما كان الإنسانُ أكثرَ حَظًّا مما يتميز به من البَهِيمَةِ - وهو(٥) العقل والبيان - كان أكثرَ حظًّا من الإنسانيَّةِ ، وأكثرَ قِيْمَةً عند العُقَلاءِ ٠

١٠٣ــ ليس لداء الحَسَدِ دواءٌ ، ولا لِسِقَمِ الجَهْلِ شِفَاءٌ ٠

١٠٤ــ الفقرُ قَبْرُ المحاسِنِ ٠

١٠٥ــ الميِّتُ من مات عن المحاسِنِ ، وإن كان حَيًّا٠

١٠٦ــ وقال في فَضْلٍ نسبه في بعض كتبِهِ إلى قُسِّ بنِ سَاعِدَةَ (٦)؛ لغرض كان له في ذلك :

---

(١) في الأصل المخطوط : "ينفع" ٠ (٢) قَيِّمُ النفوس : ميزانها وصلاحها٠

(٣) السيد مكدود: مشتد في حكمه ٠(٤) منوط بكل أحد : متعلق به ٠

(٥) في الأصل المخطوط : "فهو"٠

(٦) قُسّ بن ساعدة: أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، يقال: إنه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه : "أما بعد " ، طالت حياته وأدركه النبي – صلي الله عليه وسلم – قبل النبوّة ، ورآه في سوق "عكاظ"، وسئل عنه بعد ذلك فقال : "يُحشر أمة وحده "٠

أما بعد ؛ فإنك لا تَفُوتُ ربَّكَ بنفسك ، فكن عند رضاه ، واحــذر سَــخَطَهُ ، يَكْفِكَ المُهِمَّ [١٤ــ أ] ويَدْرأْ عنك المُلِمَّ (١) ، وانظر ماذا تُحْـــرِجُ (٢) فــإنك مَجْزِيٌّ ، وكُنْ لله تعالى يكن لك ، وعليك بالصَّــبْرِ فإنَّهُ مـــن أَوكَـدِ أسـباب النَّصْرِ ، وإيَّاكَ والإضاعَةَ ، فإنَّهُ لا يَبْقَى عليها الكبيرُ ، ولا يَثْبُتُ معها القليـــلُ [١٤ــ ب] ولا تَصْحَبَنَّ أحمقَ ولا فاجراً ولا بخيـــلاً ، فــالأحمقُ : يُوبِقُــكَ ، والفاجرُ: يُوقِعُكَ ، والبخيلُ : يُسْلِمُكَ .

١٠٧ــ تمت الرسالة ، كتبها : أحمدُ الهَرَوِيُّ حامداً لله - تعالى - علـــى نعمـــه، ومصلِّياً [و] مُسَلِّماً على نبيِّهِ نَبِيِّ الرحمةِ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيبيـــنَ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمَ .(٣)

* * *

---

(١) يدرأ عنك الملم : يدفع عنك نوازل الدهر .

(٢)تحرج : تبرز من عمل .

(٣) كلمة: "وسلم" ، كذا بالأصل المخطوط .

فهرس الموضوعات

لتحقيق الرسالة الحكمية

المحتوى

تم بحمد الله تعالى

رقم الإيداع
٢٠٠١/٦٩٨٤م